الى القارئ

الثقافة والخلق

إن ما دابت عليه المجتمعات المتقدمة اليوم من وضع لمخططات مضبوطة من شانها أن تنهض بجميع ميادين الحياة وتحقق أكبر ما يمكن من المشاريع الانمائية قضت بأن يتجه التعليم اتجاها يستجيب لهذه المقتضيات • كما أن الواجب الذى فرضته هذه المجتمعات على نفسها والمتمثل فى ضمان الشغل للاجيال المتعاقبة أضفى على برامج التعليم صبغة عملية ومنحى يتصف بالجدوى والفاعلية • ذلك أن التعليم وبالتالى كل تكوين أصبح ينشد من ورائه كل متلق له شغلا يضمن له العيش الكريم وحياة الرفاه ليكون مواطنا باتم معنى الكلمة يمارس واجباته إزاء نفسه وأسرته ووطنه فى حرية وشعور بالمسؤولية بعد أن مارس حقه فى التعليم والشغل والصحة وغيرها •

إلا أن هذه المجتمعات المتقدمة أصبحت تشكو من وطأة سوق الشغل على برامج التعليم وخاصة منها التعليم العالى بحيث اضطر القوم الى التضحية بكل ما ينتسب الى الثقافة العامة وخاصة شعب الآداب والعلوم وعملوا بقول أحد أبطال تمثيليات موليار وهو البورجوازى كريزال الذى كان ينادى بين « النساء العالمات »(Les femmes savantes)بانه « يعيش بالأكلة الطيبة لا بالكلام الجميل » (Je vis de bonne soupe et non de beau langage)

وفى تونس المستقلة التى عرفت بالاعتدال وركزت مستقبلها ومستقبل أجيالها على التعليم قرانا الحساب لكل هذا وأصبحنا نعمل لا محالة على ان نضمن لكل متعلم ومتكون شغلا يوفر له العيش الكريم فى نطاق مشاريعنا الانمائية الناهضة بمجتمعنا اقتصاديا واجتماعيا ولكننا لم نرض بذلك فقط إذ جعلنا للتعليم وخاصة التعليم العالى أهدافا سامية من شانها أن تحافظ على القيم الحضارية والانسانية وان تعمل على تنميتها فى نطاق الاحياء المستمر للذاتية والثقافة القوميتين •

وهذا يعني أننا في تونس اولينا الثقافة منزلة كبرى واتجهنا بقدر إمكانياتنا الى ضمان حق الثقافة لكل مواطن وجعلنا منها عنصرا أساسيا في اكتمال الذات الفردية والجماعية لانه بها يزدهر الفرد في الاتجاه الذي رضيه لنفسه ورام المساهمة بفضله في بناء وطنه الاصغر ليشارك في تشييد صرح الحضارة الانسانية ٠

وليس هذا بجديد في تونس من يوم أن بعث السيد رئيس الجمهورية وزارة الشؤون الثقافية التي عملت على ايجاد الهياكل الاساسية وزرع الحاجة الى الثقافة في نفوس المواطنين فعممت دور الثقافة والشعب في أغلب المناطق وأنشأت المكتبات وشجعت على خلق الفرق التمثيلية ورعت الفنون عامة وأسست دور النشر وأولت الكتاب فضل عناية ، ووسعت في الشبكات الاذاعية والتلفزية وجهدت في نشر الانتاج السنمائي وتنميته ٠

وليس من الغريب اذن أن تنشأ أجيال من التونسيين على حب الثقافة وممارستها وأن تبحث دائبة على استهلاك المادة الثقافية والتهالك عليها كيفما كانت وأيا كانت وهذا من شأنه أن يدفعنا جميعا الى التفكير في استجابة الانتاج الثقافي القومي الى ظاهرة الاستهلاك النهمة التي تتفاقم من يوم لآخر وتتجه في بعض الاحيان اتجاهات لا نرضاها ٠

ولا مجال أن ننصح في هذا الباب الى الحد من الاستهلاك لاننا بذلك نكون قد خرجنا عما دأبنا عليه وارتضيناه سياسة لنا ٠ وإنما دعوتنا تتجه الى التفكير في عنصر الانتاج الثقافي والنظر الى امكانيات توفيره كيفا وكما ٠ وهذا هو جوهر الموضوع ٠

ذلك أن المادة الثقافية ليست بضاعة خاضعة لما تخضع اليه البضائع الاخرى على الاقل في طور الانتاج ٠ لأنها تقتضي وجود منتج من جوهر خاص وطينة مثلى هو الخلاق الذي يحمل بين جنبيه نفسا أرق من النور وتعتمل في مهجته أسمى القيم التي بها يتماسك المجتمع وعلى أساسها يكتب له الدوام وبفضلها يقتعد مكانه اللائق بين مجتمعات الدنيا ٠

ولا يمكن ، اذا تحدثنا عن الخلق في الميدان الثقافي ، أن ننسى ان العناية يجب أن تنصرف الى الخلاق ذاته ، نبعثه الى الوجود ونبحث عنه ونرعاه ونوفر له ظروف الابداع والابتكار ٠ ولست من أولئك الذين يقولون بأن الخلاقين

يظهرون من العدم وخاصة العبقريين منهم إذ التاريخ لم يذكر لنا حالة واحدة ظهرت فيها المعجزات الثقافية في فترات الجدب والكبت الفكري والفصحالة وإنما هو المجتمع ينمو ويتفاعل بعضه مع بعض بمحاسنه ومساويه ثم يفرز الطاقات الخلاقة فيضطهد بعضها من دون إخماد صوتها ويحتضن البعض الآخر في جدلية عجيبة . فابن رشيق مثلا وابن خلدون والشابي لم يظهروا في مجتمعات راكدة متخاذلة بل كانت من ورائهم رغم الظواهر ، بيئات متحركة تواقة الى النمو ، مؤمنة ومحبة أو كارهة رافضة في طبقاتها الحاكمة وغير الحاكمة للثقافة وأهل الثقافة .

لهذا فانه ليس من لغو الكلام أن نقول بانه من واجبنا أن نبعث الخلاق الى الوجود ونبحث عنه ونرعاه ونوفر له ظروف الابداع والابتكار : أن نبعثه الى الوجود بالاعتماد في برامج تعليمنا على كل ما ينمي في أجيالنا الصاعدة روح الخلق والابداع والابتكار ويجعل المادة الثقافية عندنا لا تنادي الى الاستهلاك فقط بل تحمل بين طياتها الدعوة الى الخلق والعطاء .

وكذلك نبحث عن الخلاق ونرعاه ونوفر له ظروف الانتاج بجملة من الاجراءات تتخذها الدوائر المسؤولة لهذا القصد وهي عارفة بها والسيد رئيس الجمهورية في قراره بالترفيع من ميزانية وزارة الشؤون الثقافية يعني هذا أو أكثر .

على أننا لا نقصد بهذا أن نجعل من الخلاق إنسانا مدللا غير راشد بل نريد أن تكون مرتبته في المجتمع ليست دون مرتبة من له دور هام ورفيع في بناء تونس الجديدة كرجل السياسة ورجل الاقتصاد وغيرهما .

وهذا يقتضي من الخلاق شعورا أوفى بالمسؤولية وروحا نضالية مثلى ومعرفة أعمق بالمجتمع بها يمكن له أن يفرض وجوده وأن يساهم في حل مشاكله النوعية وأن يجبر غيره على إيجاد الظروف الملائمة له ليخلق في حرية ويبدع في إيمان بدوره في المجتمع فيجلب بذلك الاحترام والتقدير والتبجيل والاعجاب .

وبهذا تكون الثقافة قد أدت دورها في صقل عقول الاجيال الصاعدة وخدمة المجتمع التونسي أجل خدمة حتى لا يكون فقط مجتمع استهلاك بل مجتمع الخلق والابداع والابتكار .

البشير بن سلامة

علاقة جدلية

بين الاستعمار الاعلامي والاستعمار الثقافي

بقلم : أحمد القديدي

سنحت لي فرصة طيبة ان أعيش مشاغل مجموعة عدم الانحياز ـ اذ كنت عضوا في الوفد التونسي المشارك في ندوة الاعلام للبلدان غير المنحازة المنعقدة بتونس خلال شهر مارس 76 ـ وتلمست عن كثب مجهودات هذه المجموعة للخروج من ربقة العبودية الاعلامية ، وهي احدى العبوديات الجديدة التي تفرض علينا ـ نحن البلدان النامية ـ بعد ان « تحررنا » من الاستعمار واحرزنا على « استقلالنا » ٠

فمن المدهش والغريب ان تنهار صروح الاستعمار بشكله الاداري والعسكري ويتمكن الوطنيون من تسلم مقاليد الحكم في بلدانهم والتصرف في شؤونها وتظل القضية هي هي ٠٠. فكأن جوهر المسالة الاستعمارية ما يزال قائما وها نحن نعيش حروبا تحريرية غير مسلحة ٠٠ اى في ساحة الاعلام وعلى واجهة الثقافة وفي مجال اللغة ٠ فما اشبه توصيات (باندونغ) للتغلب على الاستعمار العسكري والاداري بتوصيات (بلغراد) او (الجزائر) للانتصار على الحضور الثقافي والفكري الامبريالي ٠٠٠ ونفس العزم موجود بندوة تونس الاعلامية وغدا نرى نفس المشاغل في ندوة (كولمبو) ٠

ومن حسن الحظ ان نجد نفس الاصرار على التحرر ، ونفس الوعي بان المسالة الاستعمارية لم تحل ، لان الاستعمار غير أشكاله ومارس حضوره بأساليب أخرى ، فنحن مازلنا نلبسه فكريا وحضاريا ٠٠٠ وهنا تكمن المعركة الحق ، هذه المعركة التي توازي جهادنا الاكبر للخروج من التخلف وتدعمه ٠

الاستعمار الاعلامي

كل ندوة تونس خصصت في أغلبها لتحليل مظاهر الاستعمار الاعلامي ، وصدرت توصياتها منادية بالغاء الوساطة الاعلامية الغربية بين اجهزة الاعلام للبلدان النامية غير المنحازة ، واقرار تعاون اعلامي مباشر بينها ٠ فقد تأكدت بلدان المجموعة ان الامكانيات العلمية الكبرى للبلدان القوية

واكتشافاتها اليومية فى ميدان الاتصالات الجماهيرية أصبحت تتحدى ـ طبيعيا ـ تواضع مستوى هذه البلدان وقلة بحثها وضيق آفاقها . ولذلك أصبحت جل أجهزة الاعلام فى المجموعة مرتبطة ارتباطا وثيقا ، ووظيفيا بأجهزة الاعلام فى البلدان القوية ـ شرقا وغربا ـ ونلاحظ ذلك بوضوح فى المجالات التالية :

ـ وكالات الانباء التى ترتبط أغلبها بوكالات « عالمية » أى غربية لضمان بثها ، وضمان تلقيها ، مما يجعلها تحت مراقبة هذه الوكالات وتوجيهها السياسى .

ـ الاذاعات والتلفزات التى تفتقر للبرامج وتضطر لتوريد ما تمنحه أجهزة الاعلام الاستعمارية من برامج ظاهرها المغامرات البريئة او المعلومات الموضوعية وباطنها المسخ والتشويه والتبشير .

ـ الصحافة المكتوبة التى تلجأ الى التغطيات الاجنبية والقصاصات ومصادر « الفيتشر » نظرا لتواضع امكانياتها المادية واطاراتها البشرية ، فمثلا لا تستطيع هذه الصحافة ان تجعل لها مراسلين على عين الاحداث ولا تستطيع توفير دراسات وتحاليل عن هذه الاحداث مما يجعلها تستند بمادة محررة جاهزة لنشرها على قرائها .

هذه بعض الاسئلة نسوقها للتدليل ، لا للحصر ، ونقول ان بعض التجارب قامت بها مجموعة عدم الانحياز لتحرير اعلامها ونجحت نجاحا طيبا ومشجعا منها وكالة (بول) التى أصبحت تعوض بعض الوكالات الغربية القوية فى القيام بدور الوساطة بين الوكالات القومية .

الاستعمار الثقافى

تفطن المشاركون فى ندوة تونس الاعلامية منذ الاول انه لا يمكن الحديث عن الاستعمار الاعلامى دون تحليل مظاهر الاستعمار الثقافى ، ولذلك تكونت لجنة ـ من لجان ثلاث ـ للعناية بموضوع العمل الثقافى المشترك بين بلدان عدم الانحياز ، وتبين أن مشاغل البلدان تتشابه الى حد بعيد ، حتى انك تسمع نفس التحليل من مندوبى الزايير وتونس والجزائر وكوبا وسرى لنكا ومصر وغيرها من البلدان ، مما لا يدع مجالا للشك ان التحرر الاعلامى اى السياسى يمر عبر التحرر الثقافى ، والغاء الازدواجيات واستكمال الهوية الوطنية أى فرض الذات ومجابهة التحديات . وتناقش أعضاء هذه اللجنة طويلا عن الجدلية الحتمية بين الانغيار الاعلامى والمسخ الثقافى للشعوب ، واتفقت الآراء على دعم وسائل الاتصال الجماهيرية وترقية اللغات الاصلية للامم وصيانة تراثها من التلف والنهب (وقد اشار بعض المشاركين

الى ان متاحف العواصم الغربية تزخر بتحف وآثار الشعوب النامية ، كما اشار مندوب الزايير الى تجربة بلاده التى تجرأت على اعادة النظر جذريا فى ثقافتها وأصلها الفكرى ، مما حدا بشعب الزايير الى القيام بثورة ثقافية حضارية حقيقية غيرت الوضع الاستعمارى باقرار شخصية هذه الامة .. فتبدلت حتى الاسماء ، من ألقاب مسيحية مستوردة الى ألقاب مستمدة من تاريخ وكيان وضمير الزايير) والعلاقة - اذن - بين الاستعمار الاعلامى والاستعمار الثقافى علاقة جدلية وثيقة ، تبدأ بمحاولة مسخ الشعوب وتحويلها عن اتجاهها القويم باستعمال عدة وسائل أهمها :

- القضاء على اللغة ، اداة الحضارة للشعوب

- تجزئة الشعوب الى طبقات لغوية ، باحداث قطيعة بين الفئات على مستوى اللغة ، أى ان هناك طبقة تتلقى تعلمها بلغة أجنبية « متمدنة » تنعزل شيئا فشيئا عن بقية الطبقات الشعبية التى تتكلم لغتها الاصلية ، وتتحول هذه الطبقات اللغوية ، الى طبقات فكرية ، ثم اجتماعية فسياسية ، ترتبط مصالحها بمصالح أصحاب اللغة الاجنبية .

- استعمال الوسائل الاعلامية الجبارة لزرع الشك فى مقومات الشخصية الاصلية للامة ، وتقديم نماذج فكرية وانماط سلوكية تتغلغل بوسائل الدعاية الخفية ، ومن ذلك نجاح هذه الاجهزة الاستعمارية فى تقنين اذهان الشباب فى البلدان النامية على انماط من البطولة « الفوق انسانية » لنماذج ثقافية وسياسية تتمثل فى (جامس بوند) و (أوس س 17) وغيرهما .

وطبعا ، ليس من باب (التعاون) ولا حتى الحفاظ على اللغة الفرنسية ان نرى الحكومة الفرنسية تخصص مبلغ 28 مليارا و 300 مليون فرنك لوكالة التعاون التى تضم 25 بلدا « فرنكو فونيا » ، هذه فرنسا التى تشكو هى نفسها مما سماه المفكر وفقيه اللغة (ايتيانبل) الاستعمار الثقافى الامريكى عن طريق الفرنقليزية .

هذه بعض الخواطر التى خامرتنى ، وأنا أحضر باعتزاز أعمال ندوة الاعلام للبلدان غير المنحازة ، هذه الندوة التى عمقت دراساتها وتحليلاتها للكشف عن عنصرين من عناصر الاستعمار الجديد فى مجالى الإعلام والثقافة وعلينا نحن العرب ان نتفكر أكثر من سوانا من هذين العنصرين ، خاصة ونحن نطرق أبواب المستقبل ، خاصة وأن لغتنا العربية تعانى أكثر من سواها من *اللغات* ، تحديات وتناقضات ومساومات ذلك الاستعمار ، لمعرفة الاستعمار ويقينه من أنها لغة قوية ديناميكيا ، حمالة للحضارة واليقظة والاصرار .

ا. ق.

ابن زيدون

شعر : جعفر ماجد

ظلت عصافيرها حيرى تنادينا ... والعطر بعدك قد مل البساتينا
والسحب ما كللت بالسحر مفرقها ... إلا لتكتب ـ إذ تهمى ـ معانينا
والنهر لم يجر يوما فى معاطفها ... إلا ليسكب فى صمت أغانينا
حسناؤك البكر ما زالت محجبة ... لم يجلها شاعر بعد ابن زيدونا
(أو نيس) لم يأت يا (بنلوب) أندلس ... لا تسأل الريح إلا عن موانينا
يا حسن قرطبة فى ثوب بهجتها ... مثل الجواهر زانت بنت عشرينا
مدت يديها إلى التاريخ تحضنه ... فعانقت كل شهم فارس فينا
أنفاسها لم تزل بالمجد دافئة ... وقلبها خافقا بالحب مشحونا
قد خبرتها الليالى عن مصائبنا ... وحدثتها طويلا عن مآسينا
فأيقظت جرحها من بعد هجعته ... وأرسلت دمعها فى الصمت تبكينا

* * *

أبا الوليد وهذا اليوم موعدنا ... قد كان منذ الصبا حلوا تلاقينا
كم مجلس فى المنى الخضراء يعرفنا ... ومن قطوف هصرناها بأيدينا
نأتى إليك متى شئنا بأجنحة ... تطوى الزمان فتنسيه وتنسينا
لكننى حامل هما أكابده ... من ألف عام .. فخذ أوزاره حينا

* * *

ماذا جنينا من التاريخ نظلمه ... ومن كؤوس الهوى والخمر تسقينا
أين الميادين هل فيها فوارسنا ... بل المخادع هل فيها جوارينا
كانت بلادك مثل الفلك يلطمها ... موج الهلاك ولا تلقى المنجينا
وأنت فى غمرة اللذات منهمك ... ما كان يعنيك أمر كان يعنينا
وللطوائف أقزام رأيتهم ... لكل وصف كبير مستحقينا

مـدحـت معتضـدا منهـم ومعتمـدا   وعشـت مبتـذلا فيهـم ومسكينـا
ولادة ضيعـت بالأمـس أنـدلسـا   ولـم تـزل حيـة مـوجـودة فينـا
ولادة ـ يـا كتـاب الحـب معـذرة ـ   تخصـى الفحـول وتغتـال المحبينـا

* * *

يـا واهب الشعـر معنى من روائعـه   كـم كنـت تمـلأ بالـوهم الدواوينـا
لـم تـدر أن حـروف الشعر غـالية   لـم تـدر أنـك فى صـف النبيينـا
الحـرف مقصلـة لا يشتهـى دمهـا   مـن لا يقبـل فى الحـق السكاكينـا
ما همنـا أن نريـق اليـوم أدمعنـا   لـم يبـق دمـع عزيـز فى مآقينـا
لقـد شـربنـا مـرارات منـوعـة   ولـم تـزل لـك كـأس من دوالينـا
عشنـا على هـامش التاريـخ مثلكم   وبعـد أنـدلس خنـا فلسطينـا
يـا شـاعر الحب لا تجـرح مودتنـا   إذا قسوت ولم أسلـك بـك اللينـا
إن المـودة أبـقـى فـى معـاتبهـا   وقـد عـرفت مـن العتبـى أفانينـا
علمتنـا أن نـرى فى الأرض فتنتهـا   وزدت رونقهـا حسنـا وتلـوينـا
حتـى كـأنـك رسـام بـريشتـه   قد نمنم العشب واشتـق الرياحينـا
وكنت فى الشرق مثل الغرب مبتكرا   إلهـامـه عـربـا يهـدى ولاتينـا
وحبـك الشـىء نـوع مـن حمـايته   فهـل درأت عـن الأرض الثعـابينـا
يـا ليتنى اليـوم أنسى ما وهبتهـم   وليت شعـرك لم ينس المساكينـا

ج. م.

(1) أعدت هذه القصيدة للاحتفال بالذكرى الألفية لميلاد ابن زيدون بمدينة الرباط .

الازمة الاخلاقية في عالم اليوم

مظاهرها ، اسبابها ، علاجها

بقلم : الدكتور محمد فاضل الجمالي

مقـدمـة :

قبل الخوض فى الموضوع يجدر بنا تعريف الاخلاق • ففى نظرنا : الاخلاق هى السلوك الارادى الذى تقره المجتمعات البشرية لضمان بقائها وازدهارها• وهذا السلوك يكون فرديا وجماعيا فى الوقت نفسه • فكل سلوك يضمن سلامة الفرد والمجتمع بل والانسانية عامة هو سلوك اخلاقى وكل سلوك يضعف ويضر الفرد والمجتمع بل والانسانية عامة هو سلوك لا اخلاقى•فكل من الصدق والامانة والتعاون والخدمة العامة والغيرية والوفاء سلوك أخلاقى لانه يقوى الفرد والمجتمع بل والانسانية عامة أما الكذب والخيانة والسرقة والزنا والسكر والقمار فانه سلوك لا اخلاقى لانه يضر بصحة الفرد والمجتمع ويضعف العلاقات الانسانية •

هذا وإن القيم الاخلاقية التى تأخذ بها المجتمعات البشرية اليوم قد تطورت وتقدمت منذ حياة الانسان البدائية حين كان الانسان يأكل لحم أخيه الانسان وكانت القبائل تتعاطى الغزو والسلب وكان البعض يمارس السفاح ووأد البنات • فقد تقدمت البشرية وارتقت فى سلم القيم الاخلاقية بفضل الاديان السماوية وآخرها الدين الاسلامى الحنيف إذ وضع للانسان قيما أخلاقية متصاعدة نحو المثل الاعلى لا حد ولا قيد للرقى فيها •

هذا وإن على العلماء والحكماء والمفكرين ان يساعدوا البشرية على تطبيق المثل العليا فى الاخلاق إذ تلك مهمتهم الاولى •

وما لائحة إعلان حقوق الانسان التى أقرتها الجمعية العامة للامم المتحدة فى باريس فى 10 ديسمبر 1948 إلا ثمرة من ثمار هذا المجهود الانسانى الذى

ساهمت فيه الاديان والعلوم والفلسفة الانسانية • ففى العالم المتمدن اليوم قيم أخلاقية معترف بها تقاس بها درجة الرقى أو التخلف للافراد والمجتمعات• ومن هذه القيم احترام حق الانسان بالحياة وبالحرية المسؤولة والكرامة والملك الحلال • ومنها العدالة والانصاف والرحمة • ومنها البحث عن الحقيقة والصدق والاستقامة • ومنها الاجتهاد والعمل الدائب والتعاون من أجل ضمان المستوى المعاشى الكريم للجميع • ومنها التواضع والادب واللين فى معاملة الآخرين • ومنها نظام الشورى واحترام الرأى المخالف والالتجاء الى الاقناع بالحوار الحر والمنطق السليم • ومنها التضحية والغيرية والكرم • ومنها العفة والحياء والشرف • ومنها الاعتدال فى الحياة وعدم التبذير أو التقتير فى اشباع رغبات الانسان المشروعة وسد احتياجاته الاساسية • ومنها الغاء الرق والعبودية والقضاء على التفرقة العنصرية والطائفية والجنسية واحترام حق المرأة وكرامتها فى الحياة وفى المجتمع • ومنها الاعتزاز بالامة وبالوطن ورفع شعار الحرية والاخاء والقضاء على رواسب الاستعمار • ومنها المساهمة الفعالة فى المنظمات الاجتماعية والوطنية التى تستهدف بناء «دولة الخير» الدولة التى ترعى صحة أبنائها وتغذى عقولهم وأرواحهم وتعمل على اسعادهم وازدهارهم • هذا وإن التقدم فى المضمار السياسى او الاقتصادى أو الاجتماعى لا يتحقق ولا يكتب له البقاء ما لم تتوفر الاسس الاخلاقية السليمة للمجتمع• فالمجتمعات الانسانية تكون واهية وسريعة الانهيار مهما عظمت الثروة أو القوة العسكرية أو التقدم التقنى ما لم تبن على أسس اخلاقية متينة •

من مظاهر الازمة الاخلاقية :

إن الانسانية فى عصرنا هذا مبتلاة بعلل اخلاقية خطيرة تهدد وجود الانسان على هذه الكرة الارضية وذلك بالرغم من كل ما تحقق من تقدم فى حقل العلوم والفلسفة والتقنية • وها نحن فيما يلى نشير الى بعض مظاهر هذه الازمة :

1) فرعنة الانسان : بالرغم من قيام حربين عالميتين طاحنتين فى هذا القرن فان الدول العظمى ما تزال تعتمد على القوة اكثر من اعتمادها على الحق أحياناً• وتسحق الحق بالقوة اذا اقتضت مصالحها ذلك • وفى الحقيقة ان البشرية ولم تتخلص من الاستعمار القديم تماما بعد أصبحت معرضة لسيطرة استعمار جديد مبعثه الطمع والاستغلال والغرور وحب السيطرة والاستعلاء • وكلها

أمراض أخلاقية . وهذا مما يشكل ازمة اخلاقية فى عالم اليوم . فلو أشعلت الحرب النووية بين الدولتين العملاقتين لاصبح مصير البشرية كلهـا مهـددا بالفناء . وان التاريخ يعلمنا بأن قوة الدول العظمى وثرواتها الطائلة ليست بذات دوام ولا استقرار ما لم تؤسس على أسس اخلاقية سليمة . وما نتيجة العدوان الصريح والظلم الصارخ سوى أزمات سياسية واقتصادية وتهديـد للسلم العالمى حتى يعود الحق الى نصابه وينصف المظلومون .

2) الصراع الطائفى والعنصرى : من أسباب الحروب الدامية فى كل من ايرلندة ولبنان حيث يتقاتل الاخوة ابناء الوطن الـواحد لمجـرد انتمـائهم الى مذاهب أو اديان متعددة . وإهانة لكرامة الانسان فى كل من جنوب افريقيا وروديسيا واسرائيل حيث يهان الانسان وتهضم حقوقه لمجرد انتمائه الى لون آخر لس بالابيض أو دين آخر ليس باليهودية . وكل هذا الصـراع مبعثـه خوف وأنانية وحب السيطرة والاستغلال وهى أمراض أخلاقية حقا .

3) حدوث انقلابات فجائية فى بلاد لا تمارس الدمقراطية اذ تقـوم فيهـا حكومات ديكتاتورية مستبدة تفتـك بخصومهـا وتحجـر الحريـات وتحبس الانفاس مستخدمة وسائل الارهاب والقمع . وفى الحقيقة ان الدمقراطية هى أخلاق قبل كل شيء والديكتاتورية والاستبداد رفض لهذه الاخلاق . ولذلك فالعديد من بلاد العالم اليوم مبتلاة بازمة اخلاقية فى الحكم .

4) الصراع الطبقى الناجم عن استغلال الانسان لأخيه الانسان حيث ينقسم الشعب الى فئة مستغلة تملأ بطونها بالأكل وجيوبها بالمال تبذره كيف تشاء وفئة كادحة لا تحصل على ما يسد الرمق لها ولابنائهـا ، فانعـدام العـدالة الاجتماعية فى العديد من المجتمعات المعاصرة يسبب القلـق والاضطراب فى العلاقات الانسانية وتنفصم الوحدة القومية . ومشكلة الصراع الطبقى هذه هى فى جوهرها مسألة اخلاقية . فلو تجرد الناس من الانانية والطمع وسـاد الاخاء والانصاف فيما بينهم لتخلصت البشرية من أعظم أزمـة أخلاقية منى بها عصرنا هذا .

5) ثورة الشباب وصراع الاجيال : فالشاب المعاصر قد لا يصغى الى مـا يسديه له أبوه أو استاذه من نصح وارشاد . إنه قـد لا يوقـر الكبيـر ولا يستفيد مما لديه من خبرة ودراية تهديه الى سبل الخير والرشاد . فالتباعد بين الاجيال وشعور الجيل الصاعد بالعزلة وفقدان الهدف الاسمى فى الحياة

لمن الادلة الناصعة على افلاس التربية وعلى اعتـلال المدنية • إنها مأسـاة أخلاقية عظمى !

6) اختطاف الاشخاص واختطاف الطائرات وجرائم القتل والسلب والنهب فى العديد من اقطار العالم بما فى ذلك البلاد التى تعتبر متقدمة فى الحضارة • الامر الذى استعصى حله على اقوى الدول وأعظمها ثروة وتقنية •• فما يدعى بالارهاب اليوم يشغل بال كبار رجال الامن والسياسة فى البلاد الغربية وهو يشكل أزمة أخلاقية من الدرجة الاولى فى عالم اليوم •

7) الادمان على الكحول والمخدرات والتدخين : مما يسبب امراض الجسـم والعقل ناهيك عما يرافق الكحول من علل اجتماعية وخراب بيوت • فعشرات الالوف من البشر يموتون سنويا فى حوادث السيارات التى يقودها السكارى المستعجلون فى سياقتهم المستهترون بحياة الانسـان • أما التـدخين فانه يتسبب فى عدة امراض جسدية ولا سيما فى القلب والجهاز التنفسى ذلك الى جانب ما يسببه من حريق فى المعامل والمنازل•وما يقال عن الكحول والتدخين يصدق على المخدرات وكلها تمثل أزمة اخلاقية فى عصرنا هذا تعود الى ضعف الارادة وضعف سيطرة الانسان على نفسه •

8) الاباحية الجنسية والاختلاط الحيوانى غير المشروع بين الجنسين (الذكر والانثى) أو فى داخل الجنس الواحد • وقد أدت الابـاحية هـذه الى تكـاثر الامراض الزهرية حتى فى البلاد التى تدعى أنها متمدنة وتسمى راقية • يقابل ذلك كبت وحرمان واستهانة بكرامة الفتاة فى بلاد تسودها تقاليد بالية تضع العراقيل المالية والاجتماعية فى طريق الزواج المشروع • أضف الى ذلك إهمال للتنظيم العائلى فاما انجاب اولاد بلا عد مع اهمال تربيتهم والعنـاية بهم ، أو عزوف عن انجاب الاولاد وعدم تحمل المسؤولية القومية إزاء مستقبـل الامـة والانسانية • كل هذه تمثل أزمة اخلاقية فى عصرنا هذا مردها الى الانانيـة والتسيب وضعف المسؤولية الاجتماعية •

9) تشويه المحيط الطبيعى والعمرانى : فمن تبذير للخيرات التى تحويهـا الطبيعة الى تشويه مناظرها وتلويث مائها وهوائها بالمواد السامة التى تقضى على الحياة نباتية كانت أم حيوانية كما تسبب أمراضا انسانية • فبينما نسمع ونقرأ عن حدوث المجاعات بسبب تزايد السكان وشحة الانتـاج فى الحبـوب والمواد الغذائية فى بعض أصقاع العالم نسمع ونقرأ من جهة أخرى عن إتلاف

كميات هائلة فى المواد الغذائية فى اصقاع اخرى فى العالم وذلك لضمان سعر مرتفع لتلك المواد • هذا فيما يتعلق بالمحيط الطبيعى أما فى المحيط العمرانى فقد منى البشر بمدن مكتظة بالسكان وبعمارات متلاصقة مزدحمة لا تعترف ولا تعترف بحق الطفل فى الحياة واللعب بين الاشجار ووسط المروج ، ناهيك عن الشرائط الصحية الضرورية للنظافة وهدوء الاعصاب ، إن سيطرة الانسان على الطبيعة تتطلب سيطرته على نفسه أولا بحيث يحصل توازن وانسجام بين تكاثر الانسان وازدياد الخيرات الناتجة عن استثمار الموارد الطبيعية والامر يتطلب علما وخلقا فى الوقت نفسه •

10) ازدياد الامراض العصبية والموت بالسكتة القلبية ويرجع ذلك الى كثرة الهموم وقوة المؤثرات الخارجية على الاعصاب والخضوع للسرعة المفرطة فى الحياة بحيث لا يتوفر الوقت الكافى للهدوء وللراحة والاستجمام • وربما كان البعض من هؤلاء محرومين من نعمة العبادة والطمأنينة النفسية التى يولدها الايمان بالله تعالى وهذه ايضا من مظاهر الازمة الاخلاقية فى عالمنا المعاصر •

يتضح مما مر أعلاه ان الانسان المعاصر بالرغم من تقدمه العلمى والتقنى وبالرغم من ظهور الفلسفة الانسانية ما يزال منقسما على نفسه مجزءا مقطعا الى قبائل وأمم متنافرة والى طوائف دينية متباعدة كما أنه ما يزال يلجأ الى العنف والحروب ويستخدم منطق القوة اكثر من استخدامه منطق العقل والحق• ومن الانسان المعاصر من هو متكالب متزاحم على المعيشة مستعجل طماع خائف قلق • ومنهم من هو محروم من الحرية والعدالة الاجتماعية • ومنهم من هو مغرور مدع مبذر إباحى جاحد للنعم إنه قد يكون ميالا الى الفوضى تائها لا هدف له فى الحياة فاقدا للقيم الانسانية يستولى عليه البؤس والظلام النفسى • هذه هى حقيقة الازمة الاخلاقية فى عالم اليوم • فما أسبابها ؟

اسباب الأزمة الاخلاقية :

من أهم اسباب الازمة الاخلاقية فى نظرنا النقاط التالية :

1) جهل الانسان أو تجاهله بأن هذا الكون وما فيه من مخلوقات طبيعية وحياتية إنما يخضع لنواميس طبيعيسة واجتماعية ينبغى التعرف عليها والانسياق معها فى حياة الانسان وسلوكه الفردى والجمعى • فالظلم والكسل والتبذير والانغماس المفرط بالملذات والفرعنة والعبث كلها أفعال لا أخلاقية•

لانها تخالف النواميس الالهية التى سنها الله للطبيعة وللانسان • فلو علم الانسان ان هذا الكون لم يخلق عبثا بل انما وجد بقصد كونى يدمغ فيه **الحق الباطل فاذا هو زاهق** إن هذا القصد الكونى الذى يفترض فى الانسان أن يعرفه هو القاعدة الاخلاقية للسلوك البشرى الذى يقود الانسان الى السعادة والى الخير فيما اذا انساق معه والى الدمار والهلاك فيما اذا تجاهله •

2) جهل الانسان او تجاهله بحقيقة ذاته• فقد يحسب الكثيرون فى عصرنا هذا إن الانسان هو مجرد حيوان متقدم فى حيوانيته أى انه أرقى من سائر الحيوانات وليس اكثر ، أما ان الانسان يشارك سائر الحيوانات فى العديد من الغرائز والاحتياجات والوظائف الفسيولوجية فهو أمر صحيح ولا غبار عليه ، فهو يأكل ويشرب ويتنفس ويفرز ويتناسل وينمو ويتكاثر ثم يموت جسديا وهو فى هذا كله يشارك الحيوان فى طبيعته الحيوانية ولكن الانسان لو عرف نفسه لعلم أنه أكبر من ذلك. بكثير • إنه كائن أخلاقى روحى وأنه يمتاز بالايمان والاخلاق وبالفن والابداع وباستعمال الفكر وباستخدام الآلة • فهو لا يعيش لبطنه ولشهواته فحسب بل إنه يسعى لتحقيق مثل عليا أخلاقية وبذلك تتحقق انسانيته • أما اذا تغلبت الناحية المادية فى السلوك وأهملت النواحى الروحية والاخلاقية فقد يختل التوازن فى حياة الفرد والمجتمع فتطغى حيوانية الفرد على انسانيته وأخلاقياته • ونتيجة ذلك طمع وأنانية وتكالب وغش وحروب طبقية وقلق واضطراب نفسى • فلنتذكر قول سقراط « إعرف نفسك » !

3) القطيعة والانشطار بين نواحى الحياة الفردية والاجتماعية ــ فعزل العلم عن الدين وعن الاخلاق • وفصل الدولة عن الدين وعن الاخلاق • وفصل الحياة الاجتماعية والاقتصادية عن الدين وعن الاخلاق كل ذلك مما يسبب الازمة الاخلاقية فى حياة الانسان المعاصر • فالانسانية اليوم تقاسى المآسى من نشوء علماء غير متدينين وغير ملتزمين بالقيم الاخلاقية •

أما فصل الدين عن الدولة وهو لاما يدعى بالعلمانية أو « اللائيكية » ففيه أكبر الخطر على مصير الانسانية ذلك لان الدولة المتدينة تعمل دوما لخير وتنشر الفضيلة • إنها تمارس العدل والرحمة وتنشرهما بين الناس • أما الدولة العلمانية « اللائيك » فيمكن ان تكون خيرا أو شرا وليس من ضامن أو وازع لاتجاهها نحو الخير دائما • فالشرطة والمحاكم والصحافة الحرة قد تسوق الدولة العلمانية نحو الخير ولكن ذلك غير مضمون •

وما يقال عن الانشطار بين العلم والخلق وبين الدولة والدين يصدق على الانشطار بين الحياة الاجتماعية والاقتصادية من جهة والقيم الدينية والاخلاقية من الجهة الاخرى • فالبيت الذى لا يسوده الصفاء والمحبة والرحمة لا يمكن ان يصبح خلية صحيحة من خلايا المجتمع • إنه بيت معتل فى مجتمع معتل • والمعمل الذى لا تسيطر على اعمال كل فرد فيه الاهداف الانسانية العليا وما لم يزدهر فيه الصدق فى القول والاخلاص فى العمل فبشره بالافلاس والفشل الذريع • ولما كانت الاخلاق هى الصورة التى تتخذها حياتنا واعمالنا فى جميع نواحيها واختصاصاتها فى العلم وفى جهاز الدولة وفى البيت وفى المصنع وفى الحقل وفى ساحة الحرب وفى ساحة اللعب ، فانها لا يمكن أن تفصل عن كيان الانسان فى كل حين•فكما أن الانسان لا يستطيع ان يستغنى عن المادة أو أن يهملها فانه لا يستطيع اذا شاء البقاء والهناء ان يستغنى عن الحياة الروحية والاخلاقية ويهملها • ولا يجوز الفصل بين الحياة المادية والحياة الاخلاقية فكلاهما وجهان لكيان واحد موحد •

3) التفكك الاجتماعى الذى نشأ كنتيجة لقيام المصانع الكبرى وإهمال المرأة لشؤونها وواجباتها البيتية والعائلية وانتشار وسائل النقل السريعة التى تسهل ابتعاد أفراد العائلة عن بعضهم وتضعف الضوابط الاجتماعية والاخلاقية • ومن ذلك نزوح ابناء الريف الى المدن حيث تنشأ مشاكل أخلاقية واجتماعية للعديد من البسطاء والمعوزين منهم •

4) الغزو الثقافى اللا أخلاقى : إن المنشورات الرخيصة التى تثير الشهوات الحيوانية والافلام السينمائية والروايات البوليسية قد تكون من النوع الذى يعلم الفساد والاجرام • فكم من المجرمين اقتبسوا قواعد الاجرام من الافلام السينمائية أو الروايات البوليسية • ثم إن العديد من الاطفال اليوم قد يضيعون الساعات من أوقاتهم فى مشاهدة التلفاز وهم قد يشاهدون مناظر تضرهم ولا تنفعهم • فالراديو والتلفاز قد يصبحان عامل تثقيف وتوجيه الى الخير وقد يؤديان الى العكس •

ومن مظاهر الغزو الثقافى انتشار الحانات التى تروج المسكرات والاعلان عن المسكرات وانتشار القمار وتسكع بنات الهوى مع أبناء الهوى فى الشوارع باسم الحرية والمدنية والرقى !

5) انتشار فلسفات معتلة قد تدعو الى الالحاد أو الرفض أو الهدم والعنف أو الفوضى أو الاباحية • ان العديد من شباب العالم اليوم يلتهم الماركسية أو

السارترية أو المركوزية أو الفرويدية بشكل فج وغير ناضج وبـدون رؤيـة العلاقات بين المقدمات والنتائج احيانا • والنتيجة فوضى فى القيم الاخـلاقية والاجتماعية تؤدى الى الصراع والتذمر والبغضاء واليأس •

6) يضاف الى كل ما مر اعـلاه ضعف عـام فى التـربية الاخـلاقية • فقد أصبحت التربية الاخلاقية رخوة فى معظم الاحوال • فالبيت قد تخلى الى حـد كبير عن سلطته التربوية أو انه قد يكون هـو منبـع الضعـف فى التـربية الاخلاقية • والمدرسة قد تعنى بحشو الادمغة بالمعلومـات اكثـر من عنايتهـا بالآداب والاخلاق • والبيئة قد لا تخلو من الموبقات • النتيجة اننا قد نسمـع ونقرأ ونرى بعض الاطفال يدخنون وهم فى سن الـدراسة الابتـدائية كما ان البعض وهم فى سن المراهقة قد يتعاطون الكحول والمخدرات وقد يكون بينهم من يعتدى على عفاف الفتيات • هذا وإن التراخى فى التربية الاخلاقية يشمل الجنسين البنين والبنات معا وضعف التربية الاخلاقية هو من أهـم عوامـل الازمة الاخلاقية فى عصرنا هذا •

العـــلاج ؟

بعد ان استعرضنا بايجاز كل بعض مظاهر الازمة الاخلاقية فى عالم اليوم فللمرء أن يتساءل وما العلاج ؟ إن الاطباء قد لا يتفقون على تشخيص المرض ولا على علاجه • أما نحن وإن لم ندع الاختصاص فى الطب الاجتماعى فقد تجرأنا على التشخيص وها نحن نقدم الوصفة المكونة من العناصر التالية :

1) توعية الرأى العام فى كل مكان بأن الاخلاق عنصر أساسى فى حيـاة الانسان بها يضمن سعادته وطمأنينته فى كل عمل يقوم به وكل سلوك يصدر عنه • فكل عمل يؤدى الى الخير والصحـة الشخصيـة والاجتماعية هو عمـل اخلاقى وكل عمل ضار بالصحة الشخصية والاجتماعية فهو عمل لا اخلاقى • اذا اكلت فاسرفت فى الاكل فتكون قد قمت بعمل لا أخلاقى لانك تكون قـد الحقت الضرر بصحتك وبذلك يتضرر المجتمع فيخسر نشـاطك وانتـاجك • وكذلك اذا اعتدت تناول المسكر او الدخان فانك تضر بصحتك الجسدية كما تسىء الى عائلتك ومجتمعك • وما يقال عن الاكل والشرب يقال عن الصدق أو الكذب فالصدق سلوك أخلاقى إذ فيه سلامة المجتمع والكذب سلوك لا اخلاقى إذ فيه فساد المجتمع • وهلم جرا •

2) المسؤولية الاخلاقية عامة ولا تقبل التجـزئة • فالـدولة مسـؤولة عن الاخلاق والافراد مسؤولون والمجتمع كله مسؤول ولا بد من قيام تضامن أخلاقى

بين أفراد المجتمع • ولا بد من التأكيد على خطر عدوى الامراض الاخلاقية • فالفرد الفاسد قد ينتشر فساده ، فهو كما يقول المثل الفارسي : « كالتفاحة الفاسدة التي تفسد سلة التفاح كلها ! » ولذلك فقد أكد الدين الاسلامي على أهمية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجاء في القرآن الكريم : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » (آل عمران 104) • وجاء في الحديث الشريف : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » •

3) انشاء هيئة عليا في الدولة تتكون من أساتذة وعلماء دين وممثلين عن وزارات التربية القومية والثقافة والشؤون الاجتماعية والصحة والشباب والرياضة والداخلية والعدلية ومنظمات الشباب والعمال والاتحاد النسائي تجتمع مرة في الشهر مثلا فتستعرض الوضع الاخلاقي في البلاد وتخطط لما يجب القيام به في حقل صيانة الاخلاق ورفع المستوى الاخلاقي في البلاد• إن التخطيط الاخلاقي في نظرنا ضروري في مجتمع سريع التطور تتلاقى فيه حضارات قديمة وحديثة اسلامية وغربية • فلا الجمود والتحجر الاخلاقي جائز ولا تقليد الغرب تقليدا سطحيا مقبول • المهم هو تحقيق النمو والتطور الاخلاقي في الاتجاه السليم الذي يضمن صحة الشعب وقوته •

4) الأخلاق القويمة تنبع من تربة الايمان وينبغي ان تؤسس على الايمان • **وبذلك وجبت العناية في إحياء التربية الدينية** • فالانسان ينبغي أن يدرك بأن هذا الكون لم يخلق عبثا وان له نظاما كونيا يسير بموجبه وان الانسان إنما وجد ليقوم بدوره في تنفيذ ارادة خالق الكون في تحقيق الخير والعدل والرحمة والعمل الصالح إذ في ذلك ضمان للسلام والحرية لكل بني الانسان • هذا وإن العلاقة بين الدين والاخلاق هي في نظرنا علاقة عضوية فالاخلاق هي الثمرة والدين هو الشجرة التي تنتج الثمرة •

5) تجديد التأكيد على ضرورة قيام « البيت » أي « الأسرة » بالعناية بأخلاق الابناء وآدابهم • ولذلك نقترح تنظيم دورات دراسية للآباء والأمهات تقوم بتوعيتهم وتعريفهم بطرق العناية باخلاق اطفالهم الى جانب العناية بصحتهم الجسدية وتوسيع مداركهم الفكرية • ولا بد من التعاون الجدي بين البيت والمدرسة من أجل توجيه الطفل الى الحياة الطيبة النقية خارج أوقات المدرسة • ولا بد من العناية باخلاق الاطفال من ذوي العائلات المنكوبة بفقدان الأب أو الأم بالموت أو الطلاق أو الاجرام •

6) إعتبار التربية الاخلاقية أمرا ذا أهمية أساسية فى كل مراحل التعليم الابتدائى والثانوى والجامعى • فهى تسبق الدروس النظرية والعلمية فى الاهمية • إذ ما قيمة الشهادة المدرسية اذا كان حاملها غير متحل بالاخلاق الفاضلة ؟ إن التأكيد فى الحياة الدراسية فى الوقت الحاضر موجه على الناحية الفكرية النظرية • وحتى دروس الاخلاق فانها قد تعطى بصورة حفظية ولفظية • بينما الاخلاق هى سلوك وأفعال • وبناء الاخلاق إنما يكون بتوفر فرص يقوم فيها الطالب بمشاريع خدمة اجتماعية وتنظيم فرص للعبادة وللرياضة وللعمل المنتج فى المصنع أو الحقل أو الحانوت أو فى المنزل أو فى ناد حيث يمارس الطلاب تحمل المسؤولية مع التأكيد على ممارسة الامانة والنظام والدقة والكد والمحافظة على المواعيد • وذلك يتطلب إعادة النظر فى برامج الدراسة واعطاء الافعال التى تنمى الاخلاق المكان الذى تستحقه فى حياة الطالب البيتية والمدرسية •

7) تنقية البيئة : وذلك بمنع المنشورات التى تفسد الاخلاق وكذلك الافلام التى تغذى الانحلال الخلقى والاجرام • واستبدال الاغانى التى تشجع على التخنث والميوعة بأغان تمجد البطولة والتضحية والجهاد • وأخيرا القضاء على مراكز السكر والقمار والدعارة • وتهيئة الحدائق والملاعب والنوادى الثقافية والرياضية ودور الشعب والمكتبات العامة •

8) تسهيل الزواج وذلك بازالة العراقيل المالية والاجتماعية التى تعمل على عزوف الكثيرين عن الزواج • فالزواج يصون أخلاق الشاب والشابة باطفاء الشهوة الجنسية العارمة وينمى فى الانسان الذى نشأ على الفضيلة الشعور بالغيرة والغيرية والاستعداد لتحمل المسؤولية • لقد تصفحت أخيرا أطروحة للدكتوراه أعدتها استاذة سعودية فوجدت انها توصلت فى بحثها الى ان الطلاب المتزوجين فى جامعة الرياض هم فى مستوى دراسى أعلى من مستوى غير المتزوجين ونحن نعزو ذلك الى ان المتزوجين يتمتعون باستقرار نفسى وعصبى متأت من إطفاء الشهوة الجنسية بالطرق الشرعية • ذلك الى جانب شعورهم بالمسؤولية • هذا وإن الزواج المبكر لا يستلزم حتما الاسراع بانجاب النسل لا سيما وقد توفرت وسائل التنظيم العائلى فى عصرنا هذا •

9) حاجة عالمنا الى ثورة اخلاقية يقوم بها كل فرد منا مبتدئا بنفسه • فكل منا يحتاج الى ان يبدأ بفحص نفسه اخلاقيا فيسعى لتعديل ما اعوج فى سلوكه الاخلاقى عملا بقوله تعالى : « ••• إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما

بأنفسهم » • فالفرد منا يستطيع فى ساعات التأمل ولا سيما فى شهر رمضان أن يقرر السيطرة على أخلاقه الشخصية فيتخلص من الغش والخداع أو من السكر والاعتداء أو التقصير فى أداء الواجب أو دفع الديون والضرائب المستحقة • طالبا الهداية من الله تعالى أن يعينه على التغلب على نفسه الامارة بالسوء • فالدين الاسلامى قد هيأ فرصا ذهبية للانسان لطلب الرحمة والهداية من الله تعالى لاصلاح حاله بعد صلاة الصبح أو صلاة العشاء أو فى شهر الصيام أو بمناسبة حج بيت الله الحرام فهو يستطيع فى كل هذه المناسبات أن يستغفر ربه ويغسل ذنوبه طالبا التوبة والغفران من الله تعالى• ومما يساعد على تحقيق الثورة الاخلاقية واصلاح النفس درس القرآن الكريم وسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وسير الصحابة والابطال الذين كرسوا حياتهم لخدمة الحق والفضيلة فكانوا نبراسا لأمتهم وللانسانية جمعاء •

10) حاجة الانسانية الى قيم اخلاقية موحدة : ان السلام العالمى والتعاون بين الامم يتطلبان الاتفاق على قيم اخلاقية موحدة معترف بها من قبل جميع الشعوب • فالترابط بين الشعوب بفضل وسائل النقل الحديثة والمنظمات العالمية سيجعل الانسانية كلها جسما واحدا تقريبا • الا ان اجزاء هذا الجسم ما تزال غير مترابطة مع الاسف الشديد • وما لم يحدث هذا الترابط والانسجام بين أجزاء الجسم الواحد فالانسانية تبقى مهددة بالفناء• فما يحدث من خطر أو عدوان فى أية بقعة من بقاع الارض تشعر به الانسانية فى بقاع الارض كافة • وقضية فلسطين اكبر شاهد على ما نقول فالظلم الواقع على عرب فلسطين يهدد الامن والسلام والاقتصاد العالمى فى كل مكان • ولم يكن ليقع هذا الظلم لو سادت العالم قيم اخلاقية موحدة تطبق على جميع الشعوب بالعدل والمساواة •

نحن نعتقد ان ميثاق الامم المتحدة ولائحة اعلان حقوق الانسان ينبغى ان يعاد النظر فيهما ليتضمنا القيم والمعايير الاخلاقية الموحدة والضامنة للانسان الفرد حقه وكرامته وللشعوب الامن والطمأنينة والرفاه • هذا وإن هدف البشرية كافة يجب ان يكون رب واحد فوق الجميع وانسانية واحدة يسودها الصفاء والاخاء وعلم واحد ينير السبيل للجميع وقيم اخلاقية واحدة يسلك على ضوئها الجميع •

وأخيرا نقول : « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله » •

م• ف• ج•

الى اللقاء ... لا وداع

شعر : مصطفى الحبيب بحرى

من ... بالأرض المحتلة إلى ... بلبنان

يــا إخــوتى
من أين أبدأ الحديث ؟ احتار فى يدى القلم
واضطربت فى ذهنى الأفكار
لا تعتبوا يا إخوتى إن هزنى التيار
وتهت فى دوامة القرار
فغدنا يلوح لى ألسنة منّ نار
وغدنا يا إخوتى جماجم ودم

* * *

لو كان لى يا إخوتى جناح
لو كان لى قدر
لو كان لى ...
لكان لى عن قلمى ، عما أقوله لكم غناء
لكننى ـ وصدقوا ـ أعيش مثلكم تثخننى الجراح
ويرتوى من دمى الوباء

* * *

إنا هنا يا إخوتى
المومياء ضاجعت حياتنا ، فجيلنا عقيم
وحبنا نفاق
وعلمنا جهالة ، وزرعنا هشيم
وجونا اختناق
حاضرنا تعفنت أيامه
تبخرت أحلامه

وغدنا يا إخوتي شيخوخة تخطو بنا إلى الجحيم

* * *

لا تعتبوا يا إخوتي إن تهت في خضم هذا الكون
مرهق الأعصاب

إن لم أجز إليكم الحدود والأبواب
فأرضنا لم تعرف القمر
لم تعرف الخريف لم يبلها مطر
تموز حين مر لم يقف بها أفزعه الجفاف
يـا إخـوتي
شبابنـا انحـراف
والموميـاء الموميـاء
تلبست حياتنا فكوننا هباء
وأرضنـا يبـاب
ودورنـا خـراب
وعمرنـا سـراب

* * *

يا إخوتي ، أقولها لكم « إلى اللقاء »
ورغم حدة المأساة لا أقولها « الوداع »
فلننتظر لعل موسم الخريف يحمل الرخاء
للصامدين رغم قسوة الصراع
لننتظـر
وحينما يستيقظ القمر
مشوه الجبين راعش الأهداب ، شاحب النظر
فلتعلموا أن الخريف جاء
وأن موسم المطر
سيمنح البشر
الخصب والحياة والرخاء
يا إخوتي إلى اللقاء
إلى اللقاء لا أقولها الوداع ٠

م٠ ج٠ ب٠

لـوحـة

الحرف السندباد

بقلم : محمد الحبيب براهم

رحلـة « المـأسـاة » ...

... حين يحتقن الحرف فى حلقى بحة كالغصة وزفـرة غامضة لا تنطـق كسحابة مثقلة لا تمطر .

... حين تلفظ اللفظة صدفة بلا جوهرة ويغيب وعى الكلمة فيسجن منها الخيال ويتصابى العقل وتنضب أثداء الوجدان .

... حين ترسل الجملة نظما بلا عقد ، وتنام اللغة فى أعماقك حجرا مكبلا بالاغلال وتتمطى فى صدرك جنينا ينمو ثم يجهض وتتثاءب على مسانك اغفاءة كالضياع أو حلما كالوهم وأملا سرابا ... فهو الحرف ينـدب حظه واللفظ يرثى نفسه واللغة يواريها الحزن الطاغى طيات التراب الغامر فتختنـق منهـا الانفـاس ...

* * *

حين أفقد فى موت الحرف أنيس الحياة دفقا حارا وينبوعا لا يجف ويعوزنى بالفراق تنفس الصعداء هنيهات راحة ولحظات استرخاء .

حين يغيب عنى بتلاشى اللفظ حد التعبير واطار التصوير فتختلط المفاهيم ولا لون يميزها أو صوت يغازلها .

حين أثكل فى اللغة فتتبخر « فينـوس » وحيى و « أفـروديت » إلهـامى ويتلاطم الفراغ فى قرارى هواء لا رائحة له أو طعم أو لون ...

فهى الوحدة عالما من الصمت والظلمـة اذ وئـد الانيس وأجهض الـرفيق وتقاصرت الابعاد واتحد الكل فى الجزء فكانت دنيا بلا صوت ولا لون ...

* * *

ودنياي بلا صوت صمت مريع وخراب وخلاء ··· فالصمت صوت الحداد في مناحة العدم وجنازة الايحاء · يرين على منه حجاب كثيف يكبت الاعماق المتطلعة ويخنق الاصداء المترددة في قراري المتحفز يبتغي اصدارا لما استورد ·

··· أما دنياي بلا لون فظلام موحش وحيرة وتخبط · والظلام يسربلني فتعتصر ثناياه أطرافي ، أراه في سماء مبرقة وأدت قمرها ونجومها وتزوجت ليلا كالدهر ثقيلا ممجوجا يسد على الآفاق كابوسا يطحن النور وينيخ على البياض ، ونشازا يبدد الرؤى والالحان ···

وأصيخ السمع فلا نأمة وأقلب الطرف فلا صورة بل هو الصمت وهي الظلمة !··

والصمت منى انتحار ، وبي دنيا بلا مدلول ، وعلى اعدام ·

والظلام منى خنوع ، وبي كون بلا كيان ، وعلى لعنة ·

ويخيم على عيني سحاب ويومض في باطني أسى وتنغرس في وعيي لوعة ···

* * *

ويشملني الحزن ويخونني الحرف وأعود في متاهات الصمت والظلام باحثا عن نسائم صوت عازف وخفقات ضوء شفاف ويرسي بي المطاف في ميناء التطهر ··· فأتطهر من الحزن والظلمة والصمت وأتطهر أسكبه من عيني زلالا كقرار الغدير الوحشي الآمن ، وصفاء كلسان الشمعة في ليل صيفي · أتطهر بكاء وأمسح من على وجهي نسمات الفجر وأبلل لساني الملجم بالندى المضمخ ··· أتطهر وأنا أغمض جفني على سواد لا ينتهي وصمت لا يزول ويعتصرني بلا هوادة حزن عميق سحيق ··· أتطهر وأترك دمعة سوداء صامتة تروي حديثنا ذا شجون ···

* * *

رحلة « العربدة » ···

عندما يلفظني الزمن فكرة جريحة وتلوكني الدنيا لقمة منبوذة ويتصاعد الارق في عيني سدا غريقا يجلون من حوله الارواح ·

عندما ينام النهار في يومي ويصحو الليل في نهاري ويتملص الحلم من وسادتي وينضح عرقا دثاري ... ألهث باحثا عن سراب مائع في ليل حزين وأتلمس طريقي ولا طريق ... أتوهمه من حتمية السير في قدمي فأسير...

* * *

وأراه معلقا بين شفاه الجبال تبتسم شمسا مزدرية متعالية ، مطوقا جيد الهوة بؤرة مغوية ، متلويا منعطفات حبلي ليس يدري ما تلد ، وأعدو اليه وقد تزوجت الاحلام وأنجبت الآمال وأحتضنه أشعة كالحرباء ونورا كالظلام وأتلمسه فيتميع وأتحسسه فيتحلل وأطارده فيقبل وأصافحه فيدبر وأتأمله كونا كالسراب مائعا في ليلي الحزين وسرابا كالكون مزواجا لمسوح الحداد .

وأتبينه طريقا ولا طريق ، وكونا ولا كيان ، تورق الاشجار فيه قطرانا وفضلات ، ويهب النسيم سعالا أجش من الاعماق ويتدافع الريح فلولا مذعورة على سطح الغدير وتتداخل السماء سحابا يولي الادبار وترخي الشمس ستائرها الرمادية وتتسلل من رموشها الشفافة نظرات حداد كالرصاص ينصب على الصدر ثقيلا وتمور الامواج شيبا لزجا مزبدا مرغيا يناغي عرائس البحر بقصيدة الرثاء الابدية ...

وتنعقد بين الريح والنسيم والبحر والشمس والغدير والجبل والسراب والقرار عروة وثقى ويصم الكون أذني لحنا لا لون له ولا مذاق، يتلوى الناي فيه لوعة حرى نائحة ويتجشأ الطبل بطنا خاوية وقرعا كالتخمة ويعول الكمان طائرا ذبيحا يرقص رقصة الموت الاخيرة ويرتجف العود أوتارا واجفة وأنامل ملزلة ووقعا محتضرا ...

وأتسمع الصدى نغما كئيبا وخطى كسيرة نفضت عن نعالها غبار مسيرة جنائزية وعادت تتلمس الطريق « سرابا متميعا في ليل الوجود الحزين » وبدا الافق حدا لا أملا وتصور الشرق والغرب والشمال والجنوب قفصا لا عالما ، وتنزف في صدري الحقيقة قبيحة كالعورة مكشوفة ، تغمض عنها عينيك فتراها بصيرتك واذا البشر واحد أوحد ، انسان ذو لحم وعظم وطين وارض ويطالعني الحرف أحرفا والاحرف لغة ويتمرد الحرف على رفاقه وينصب على أرض الطين وطين الانسان عربدة باكية رائية حائرة ...

* * *

وأتخطى الطريق ولا طريق أتخطاه وأتجاوز المسيرة ولا سير بأقدامى وتشرق فى درب السراب المتميع فى ليلى الحزين أطياف عالم لا جبال فيه ولا بؤر ولا شمس ولا ريح أو مطر وأناجى من لاذرات غبار على رموشه ولا حمرة شفقية على شفاهه وأتنشقه عبيرا فائحا وأستشفه مخملا متضرعا وأغفو محتضنا عمرا ينتحر مضمدا فكرة جريحة ومواسيا سرابا يتهرب من مخيلة النهار ويهدهدنى حلم مغناج ويراودنى فجر مكسال ...

رحلة « التوبة » ...

... حين يفيض اللفظ لهاثا وزفيرا ويصعد من اللسان همسا يحضن الافق ويعطر المدى .

... حين ينفث القلب نداء لا قرار له ولا محط رحال ويرتج الكيان بحثا عنيدا عن سماء لا لون لها وأفق لا حد له .

... حين تغفو العين فلا تريد ابصارا وتخدر الاذن فتستنكف سمعا وتموت النظرة وليدا يجهض ويخبو الصوت رضيعا يحتضر .

أهرب ... أهرب من أرض تكسوها السماء وأنشد واحة تنام فى عين السراب . وأرانى فى سيرى عاشقا ولا حبيب ملتذا ولا وصال ، حالما ولا كرى أو حقيقة .

* * *

ويهجس الهاجس والكون ظلمة والوجود صمت والحياة سراب فأتسمع النبض فى قلب الطبيعة وأتلمس الدفء فى شرايين الكائنات وتفتح منى البصيرة ...

أسير فيهدهدنى الفجر نسيما كآهة عليل زالت كربته ، ويداعبنى الطل حريرا كبسمة حسناء ...

وتنطفىء منى غلة الحزن ويربت على قلبى الكسير وتتجمد العربدة على ظهر اللسان فلا تعدوه .

وتغمرنى سكينة كهداة الطبيعة المتبعة بعد عاصفة ...

وتغيب مع التبر المشاع فى الافق الوردى ، تنثره الشمس لألاء متضرجا ، ظلمات ليلى الحزين ...

وتبتلع سيمفونية الفجر ، يسيقظ فيه النبت والطير والانسان ، الصمت الثقيـل ...

ويمتص الضوء والظل والصوت واللون السراب المتميع فى مخيلـة واقـع كالحلم وكابوس كالحقيقة ...

* * *

وأغفو فى سيرى محتضنا النسمة فى الفجر المتمطى ، والنور فى الشمس المسفرة ، والضوع فى الندى المنسكب والامل فى الصوت المغـرد والبعث فى الساعد المشمر ...

ويولد فى صدرى حلم كالحقيقة بديع عجيب . وتملأ عينى آفاق لا تحد . ويهزنى الى الصفح حنين ويناديني الى السمو مناد وتدعونى الى المحبة والصفاء السماء والارض وآخر راكعا مبتهلا صافحا مصافحا ، تائبا باسما ...

م. ح. ب.

(مساكن فى 24 ــ 8 ــ 1975)

شكوى القناة من عبور السفن الاسرائيلية

شعر : محمد الحريري

(سوريا)

ماذا أحس ، وهذا الرعش يملكني
من شهقة السويس حتى آهة الـ...ـدب
أيعبرون غدا ؟ لا كنت يا لُججي
أتشق صدري من أسطولهم مركب ؟
إني قناة بني قحطان موَّجني
على يديه فيا عاري اذا أنهب
أيعبرون ويطويني شراعهم
حرا طليقا فيا مائي متى تنضب ؟
كوب العروبة كان الدهرَ منتصبا
في شاطئيه فيا ذلي اذا يقلب
أيرشف الكأسِ شدق كلُّه دنس
فأين ثغرك هذا اليوم يا يعرب ؟
ويا شواطئي الثكلى على ألق
لتبك منكِ رمال العز ولتندب
أيطرحون على صدري مراسيهم
وأستغيث كأنّ مرساتهم عقرب
ويذبحون بحدّ السُّفْن منسربي
دمي المراق على عنق الذي أذنب
ويقذفون بقاياهم على كبدي من مأكل عابث فضّ ومن مشرب
تئن أسماكي الحزنى ويؤلمها طعم على فم أهليها قد استعذب
فيصرخ الخزيان من ألم تحجَّري يا مياهي وامنعي المسرب
فلا عبور على صخري اذا رضيت دماء قومي أن تعنو لمن يركب

حول فن القصة في «كليلة ودمنة» (1)

بقلم : البشير المجدوب

غرضنا فى هذا المقال أن نحاول البحث عن حظ « كليلة ودمنة » من القيمة الفنية وأن نتساءل هل أن ما فيه من قصص يستحق أن يعتبر قصصا بالمعنى الصحيح أم أنه ، على الرغم من قيمة مضمونه الفكرى ، مجرد حكايات بسيطة ليس فيها الا العناصر الاولية من بداية ووسط ونهاية ؟

ما من قارىء ذى أناة إلا وهو يشعر عند مطالعته لقصص « كليلة ودمنة » برغبة حثيثة متزايدة فى معرفة مجرى الاحداث ومصير الاشخاص ويتجاوب مع كل من الاحداث والاشخاص تجاوبا حميما حتى لقد يبلغ به التأثر حد الانفعال أحيانا .

وليس ذلك راجعا البتة الى ما فى الكتاب من حكم رصينة عميقة ومقاصد نبيلة سامية فحسب وإنما لما فيه أيضا من خصائص قصصية فنية لا ريب فيها.وهذه الخصائص من شأنها أن تربط القارىء ، كما يقول الكاتب القصاص الانكليزى Wells فى تعريفه للقصة القصيرة ، ربطا يثير فيه الشعور بالمتعة والرضا .

الذى يهمنا أولا ان نعرض لما فى « كليلة ودمنة » من مقومات القصة فنحدد نوعها ونبين ما بينها من علاقة وتفاعل .. كيف وزعها صاحب الكتاب وكيف استغلها للغرض الذى يهدف اليه وهو الافادة والامتاع .

وهذه المقومات هى البناء القصصى والحركة والشخصيات .

---

(1) انظر مقالين لنا نشرا بمجلة « الفكر » عدد 7 وعدد 9 سنة 1975 . بعنوان « أهمية كتاب **كليلة ودمنة** فى عصره » و « أنواع القصص فى **كليلة ودمنة** .

(ا) ـ البنــاء القصصــي

لو أمعنا النظر فى قصص « كليلـة ودمنـة » وأمثاله لوجدنا فى جل هذه القصص والامثال ، إن لم نقل فى جميعها ، الدعائم الاساسية لكـل هيكـل قصصي فنى من بداية ثم عقدة ثم صرا عيأتى فى مرخلة أو فى مراحل ثم حل ثم نهـاية ٠

فاذا ما عرضنا لباب الاسد والثور مثلا لمسنا فى وضوح مثل هذه الدعائم أو المراحل ٠

نجد أولا تمهيدا يفسر قدوم شتربة فى منطقة الاسد ٠

ثم بداية موجزة فى سطرين :

« وكان قريبا منه (أى من الثور) أجمة فيها أسد عظيم ، وهو ملـك تلك الناحية ومعه سباع كثيرة وذئاب وبنات آوى وثعالب وفهود ونمور » (2) ٠

ثم تقديما لشخصية الاسد وهذا التقـديم يمهـد للعقـدة أو « المـأزق » ويبرزهـا :

« وكان هذا الاسد منفردا برأيه دون أخذ برأى أحد من أصحابه » (3) ٠

ثم العقدة وهى تمهد لدخول دمنة فى مسرح الاحداث وتسـوغه : « فلمـا سمع خوار الثور ولم يكن رأى ثورا قط ولا سمع خواره ، خامره منه هيبـة وخشية ، وكره ان يشعر بذلك جنده ٠ فكان مقيما مكانه لا يبرح ولا ينشط بل يؤتى برزقه كل يوم على يد جنده » (4) ٠

لقد أمسك الاسد عن التصرف لانه خـاف من الصـوت ، وهـذا الضعف الناشىء عن تفكير ضيق محدود وانسياق مع الحس والعاطفة إنما هو نتيجـة الاستبداد بالرأى ٠

---

(2) « **كليلة ودمنة** » ص 173 ٠ تحقيق المرصفى ٠ مطبعة مصطفى محمد ٠ مصر 1934 ٠

(3) **نفس المصدر** ص 174 ٠

(4) **نفس المصدر والصفحة** ٠

وهكذا تنطلق القصة من فرض أولى مفاده أن الاستبداد بالرأى يؤدى حتما الى الضعف ·· ضعف الرأى فى حين أن المشورة تزيد الرأى قوة ، وتفتح منافذ الفكر وتوسع آفاقه وتنمي امكانياته · فالانفراد بالرأى مآله العزلة والخذلان ثم العقم والافلاس ، ولن يبلغ الانسان مداه وغايته الا بفضل التعاون ·

ويلى العقدة تقديم كليلة ودمنة والتعريف بهما « وكان فيمن معه من السباع ابنا آوى يقال لاحدهما كليلة وللآخر دمنة وكانا ذوى دهاء وعلم وأدب » (5)·

ثم بدء الصراع وقد جاء فى صورة تحفز قوى جامح للسمو الى منزلة عظيمة وذلك إثر شعور دمنة بل يقينه بأن فرصة العمل المؤاتية قد سنحت ؛ فيكون ثمة تسلسل بين العقدة والصراع ·

وقبل أن نعرض للصراع يجدر بنا أن نشير الى مصادفة لا بأس بها تتمثل فى اقتران سؤال دمنة عن احتباس الاسد بخوار الثور « ثم إن دمنة استأنس بالاسد وخلا به · فقال له يوما : أرى الملك قد أقام فى مكان واحد لا يبرح منه · فما سبب ذلك ؟! فبينما هما فى هذا الحديث إذ خار شتربة خوارا شديدا فهاج الاسد وكره أن يخبر دمنة بما ناله · وعلم دمنة ان ذلك الصوت قد أدخل على الاسد ريبة وهيبة ، فسأله : هل راب الملك سماع هذا الصوت ؟ قال : لم يربنى شيء سوى ذلك ···» (6)·

هذه المصادفة موفقة لانها جاءت فى صورة مفاجاة راعت الاسد فافتضح أمره واضطر الى أن يبوح لدمنة بسر توقفه عن السعى · وهذا النسق مستملح يعد من محاسن الحبك القصصى لصلته الوثيقة بالتصوير النفسانى ولانه يكسب الحركة قوة درامية ·

وتنتهى المرحلة الاولى من الصراع بدخول شتربة على الاسد مطيعا صاغرا·

وتنشأ المرحلة الثانية (والاخيرة) من الصراع عن أزمة هى غضب دمنة وحسده لما رأى من حظوة الثور واختصاصه بالملك دونه ودون أصحابه ، فيسعى جاهدا لاسترجاع منزلته فيفسد ما بينهما من صداقة مغريا هذا بذاك

---

(5) **نفس المصدر والصفحة** ·

(6) **نفس المصدر** ص 185 ·

وتنفرج أزمة دمنة بقتل الثور . وقد عبر دمنة ـ فى قساوة ووقاحة ـ عن فرحه لنجاح خطته فكان خير مثال للمغامر المتحجر الاحساس الوقح الضمير.

« فحزن (أى الاسد) وندم على ما كان منه ، وتبين ذلك فى وجهه . وبصر به دمنة فترك محاورة كليلة وتقدم الى الاسد فقال له : ليهنئك الظفر إذ أهلك الله أعداءك ! فماذا يحزنك أيها الملك ؟ قال : أنا حزين على عقل شتربة ورأيه وأدبه. قال له دمنة : لا ترحمه أيها الملك ، فان العاقل لا يرحم من يخافه... وربما أحب الرجل وعز عليه فأقصاه وأهلكه مخافة ضرره ، كالذى تلدغه الحية فى إصبعه ، فيقطعها ويتبرأ منها مخافة ان يسرى سمها الى بدنه..» (7) على أن الاسد يندم ، كما رأينا ، على ما فرط منه وتنتهى القصة بقتل دمنة .

وهكذا نلاحظ تسلسلا وتدرجا وتصاعدا فى تطور الاحداث لان الطموح الجامع الذى لمسناه فى شخصية دمنة من شأنه ان يثير فى نفسه مثل هذا الحسد ، ويدفعه دفعا قاهرا الى الابقاء على منزلته والانفراد بحظوة الاسد ، مهما كلفه ذلك من كذب وبهتان ومكر وخديعة .

كما أننا نجد ـ الى جانب هذه المراحل الرئيسية للقصة الفنية ـ عنصرا آخر يتصل اتصالا متينا بالبناء القصصى وأعنى بذلك التشويق .

ومواطن التشويق كثيرة فى القصة نكتفى بالاشارة الى بعض منها .

ثمة موقف جدير بالذكر ورد فى الحوار الطويل الذى جرى بين دمنة والأسد ، وقد أوغر دمنة صدر الأسد وشككه فى خلوص صداقة الثور وحسن نيته وأبى إلا أن يزين للملك قتل شتربة ؛ فاذا بالاسد يجيبه بهذا القول المفاجىء الذى من شأنه أن يوقعه فى الحيرة والحرج ويفسد عليه خطته .

قال الاسد : « لقد تركتنى أكره مجاورة شتربة إياى وأنا مرسل اليه وذاكر له ما وقع فى نفسى منه ، ثم آمره باللحاق حيث أحب » (8) .

وغير دمنة كان ربما يرضى بهذا الحل ويقول فى نفسه : ها قد انتهى المشكل بسلام ، سيرتحل الثور عنا وأسترجع مكانتى ؛ فيقيم الدليل على

---

(7) **نفس المصدر** ص 244 .

(8) **نفس المصدر** ص 210 ـ 211 .

ضعف رأيه وعلى أنه قصير النظر اقرب الى المغفل لان مثل هذا الحل ورطة لو وقع فيها دمنة لانكشف أمره وتبينت مكيدته (ولسنا نزعم أن الاسد قد قصد إحراج دمنة ونصب له فخا • ففكرة الاسد صدرت عن قلب طيب مسالم آثر مفارقة الثور بالحسنى ولم يقصد غير ذلك) •

ما أن نقرأ كلمة الاسد حتى نتطلع الى ما سيكون رد فعل دمنة • كيف سيواجه هذا المأزق ؟

هنا يبدو جلد دمنة وبديهته • وفعلا فقد تماسك وواجه هذا الموقف الحرج بمسلك رائع يتجلى فيه فرط دهائه وبصره بقواعد السياسة وأصولها •

« فكره دمنة ذلك وعلم أن الاسد متى كلم شتربة فى ذلك وسمع منه جوابا عرف باطل ما أتى به ، واطلع على غدره وكذبه ، ولم يخف عليه أمره • فقال للاسد : « أما إرسالك الى شتربة فلا أراه لك رأيا ولا حزما • فلينظر الملك فى ذلك ، فان شتربة متى شعر بهذا الامر خفت أن يعاجل الملك بالمكابرة وهو ان قاتلك قاتلك مستعدا ، وإن فارقك فارقك فراقا يليك منه النقص ويلزمك منه العـار • **مع أن ذوى الرأى من الملوك لا يعلنون عقوبة من لم يعلن ذنبه • ولكن لكل ذنب عندهم عقوبة : فللذنب العلانية عقوبة العلانية ، وللذنب السر عقوبة السر** » (9) •

هناك موقف آخر شيق يأتى إثر الموقف السابق •

لقد رد الاسد على رغبة دمنة فى أن تكون العقوبة سرا بقوله : « إن الملك اذا عاقب أحدا عن ظنة ظنها من غير تيقن بجـرمه فنفسـه عـاقب وإياهـا ظلـم » (10) •

ما عسى دمنة أن يقول أو يفعل إزاء هذا الجواب القوى البليغ الذى يبدو رفضا حاسما باتا يغلق نهائيا باب النقمة والقصاص ؟!

هل سيحجم عن إغراء الاسد معترفا ــ فى قرارة نفسه ــ بعجزه وإخفـاق جهوده ؟ أم يلج فى مسعاه مواصلا إقناعه بجرم الثور فيتعرض ربمـا لغضب الاسد وتضيع الفرصة بدون رجعة ؟

---

(9) **نفس المصدر** ص 211 •

(10) **نفس المصدر والصفحة** •

لم يسلك دمنة لا هذا الطريق ولا ذاك بل اختار حلا وسطا فى منتهى اللباقة والكياسة • نراه يتظاهر بالطاعة والاذعان لرأى الملك ولكنه يواصل إغـراءه بالثور بصفة غير مباشرة ، فى شكل نصيحة•• مجرد نصيحة يمليها الاخلاص للملك والاشفاق عليه •

قال دمنة : « أما اذا كان هذا رأى الملك فلا يدخلن عليك شتربة الا وأنت مستعد له • وإياك أن تصيبك منه غرة أو غفلة ، فانى لا أحسب الملك حيـن يدخل عليه إلا سيعرف انه قد هم بعظيمة • ومن علامات ذلك انك ترى لونه متغيرا ، وترى أوصاله ترعد ، وتراه ملتفتا يمينا وشمالا ، وتراه يهز قرنيه فعل الذى هم بالنطاح والقتال • قال الاسد : سأكون منـه على حـذر ، وإن رأيت منه ما يدل على ما ذكرت علمت أن ما فى أمره شك » (11) •

ونتحول الى ظاهرة أخرى هامة جدا تعد تحولا فى فن القصة • هذه الظاهرة هى التضمين (12) Enchâssement وأعنى به تفرع القصة وتوالدهـا فـاذا الفروع يعترض بعضها بعضا وتتراكب وتتشابك ونعود بعد جولة تقصر أو تطول الى القصة الاصلية أو القصة الأم •

نجد نموذجا من هذا النظم الطريف فى ص 194 حيث تندمـج فى القصـة الاصلية اقصوصتان ومثل هذا النظم المثلث يعبر عنه بلغـة النقـد القصصى Récit au 3ème degré •

كان دمنة قد صرح لكليلة بعزمه على الفتك بالثور فسأله كليلـة : وكيف تطيق الثور وهو أشد منك وأكرم على الاسد منك وأكثر أعوانا ؟ قال دمنة : لا تنظر الى صغرى وضعفى فان الامور ليست بالضعف ولا القوة ولا الصغر ولا الكبر فى الجثة ، فرب صغير ضعيف قد بلغ بحيلته ودهائه ورأيه ما يعجز عند كثير من الاقوياء • أو لم يبلغك أن غرابا ضعيفا احتال لأسود حتى قتله؟ قال كليلة : وكيف كان ذلك ؟ قال دمنة : زعموا (وهذه الاقصوصة الفرعية الاولى) أن غرابا كان له وكر فى شجرة على جبل ، وكان قريبا منه جحر ثعبان أسود ، ،فكان الغراب اذا فرخ عمد الاسود الى فراخه فأكلها ، فبلغ ذلك من

---

(11) **نفس المصدر** ص 211 ــ 212 •

(12) راجع كتاب Todorov, Poétique de la Prose, P. 82 - 85

الغراب وأحزنه ، فشكا ذلك الى صديق له من بنات آوى ، وقال له : أريد مشاورتك فى أمر قد عزمت عليه · قال : وما هو ؟ قال الغراب قد عزمت أن أذهب الى الاسود اذا نام فأنقر عينيه فأفقأهما ، لعلى أستريح منه · قال ابن آوى : بئس الحيلة التى احتلت فالتمس أمرا تصب فيه بغيتك من الاسود من غير أن تغرر بنفسك وتخاطر بها ، وإياك أن يكون مثلك مثل العلجوم الذى أراد قتل السرطان فقتل نفسه · قال الغراب : وكيف كان ذلك ؟

قال ابن آوى : زعموا (وهذه الاقصوصة الفرعية الثانية وهى الثالثة باعتبار القصة الاصلية) أن علجو ما عشش فى أجمة كثيرة السمك···»(13)·

هذان المثلان يرويهما دمنة هما بمثابة البرهان على مقدرته وكفاءته ومدى فطنته واحتياطه لما قد يحدث من عواقب ·

ثم إن دمنة فى المثل الاول (أى الغراب والاسود) يعرض بل يصف بطريقة غير مباشرة الخطة التى سيتبعها وهى القضاء على الثور بواسطة غيره ويعطينا صورة مسبقة لمجرى احداث القصة ومآلها كما يتصورها هو ويريدها أن تكون · وفى هذا ما لايخفى من عنصر تشويق · هل يتم لهذا المحتال ما عزم عليه من أمر وهل ستجرى الامور كما فكر وقدر ؟ وهكذا لم تتعطل الحركة بهذا الاستطراد الظاهرى بل هى مستمرة لم يلحقها ضعف أو فتور ·

كما انه (أعنى دمنة) يصور نفسه من خلال بطلى الاقصوصتين الفرعيتين ويراهما رمزا له يقره ويثبته ، ويتحد بهما اتحادا مما يزيده عزما وتصميما وإصرارا ·

وهكذا تتراءى لنا شخصية دمنة وتبرز من خلال القصة الأم ومن خلال الأقاصيص الفرعية كما لو كنا نجتليها منعكسة على مرايا متعددة ·

وينبغى أن نذكر فى تأكيد ما يضفيه هذا النظم القصصى الخاص من تنويع وتشويق فى آن معا ·

---

(13) « **كليلة ودمنة** » ص 194 ــ 196 · نجد نموذجا آخر من هذا النظم المثلث فى ص 227 ــ229 ·

فقد يخيل الى القارىء أن الأقاصيص الفرعية انحراف عن صميم القصة وان مثل هذا الاستطراد من شأنه أن يثير السأم ٠ والحقيقة أن هذه الفروع غير منقطعة عن الاصل وهى تزيد القارىء تطلعا اليه وتشده الى متابعة بقية القصة لارتباطها الوثيق بالشخصيات ٠

هذه الوقفات الظاهرية فى سياق الاحداث إن هى الا إبطاء وتمهل يعمد اليهما صاحب الكتاب قصدا ليقوى من رغبة القارىء ويذكيها بواسطة الحرمان الوقتى والمماطلة المحببة لما فيها من شوق ملح وحيرة لذيذة وتساؤلات وافتراضات وألوان من التصور والتخيل ٠ وهو نفس النسق الذى أكسب قصص « ألف ليلة وليلة » الكثير من طرافتها التى لا تبلى على الدهر (14) ٠

لقد كان النسق التقليدى فى القصة العربية (اذا استثنينا بعض الاحوال الشاذة كما هو الشأن مثلا فى أيام العرب) يتصف بالبساطة ٠٠ تمام البساطة بحيث يكون السياق القصصى خطا مستقيما فالاحداث تتتابع أولا فأولا حسب الترتيب الزمنى وليس ثمة تصرف فى الزمن وتلاعب به أو بتر أو كسر لمجراه الطبيعى ٠

أما فى « كليلة ودمنة » فقد رأينا أن القصة تنحرف عن مجراها الاصلى وتتفرع ثم تعود الى الاصل فتستمر برهة ثم تنحرف مرة أخرى وهكذا دواليك حتى لكأنها الجدول لا يلبث فى سيره على وجهة ما ، وإنما هو يستقيم حينا ويتلوى فى انسيابه أحيانا ، ولا يقر له قرار ٠

هذا التقطع الزمنى هو موطن الجدة والطرافة فى بناء قصص « كليلة ودمنة » ٠

(ب) ـ الحركة

إننا نلاحظ بصفة عامة فى قصص « كليلة ودمنة » ضآلة الحركة لا نكاد نستثنى إلا قصتين أوفر حظا من الحركة نسبيا هما : باب الحمامة المطوقة وباب إيلاذ وبلاذ وإيراخت ٠ وفيما عدا ذلك فالاحداث قليلة محدودة حتى ليمكن تلخيص كل قصة منها فى أسطر قليلة ٠

---

(14) راجع فى هذا المعنى ما يقوله القصاص البرازيلى Borges فى كتاب Poétique de la Prose ص 84 ٠

فماذا نجد مثلا فى باب الأسد والثور وهو أطول قصة فى الكتاب كله (77 صفحة) سوى أن ابن آوى يدعى دمنة انتهز فرصة عجز ملك الوحوش فتقرب اليه ليتبوأ منزلة رفيعة لديه ، واكتشف أن عجز الاسد سببه الخوف من خوار ثور يدعى شتربة • فتلطف دمنة وأتاه بالثور وهو يظن أن سيدعم بذلك منزلته • ولكن الاسد قرب الثور واختصه باكرامه فثار الحسد فى نفس دمنة فأفسد ما بينهما من صداقة فقتل الاسد الثور •

الاحداث كما نرى قليلة معدودة ومع ذلك فالقصة حية شيقة • ولا تناقض بين ما نذهب اليه من قول ببساطة الحركة وضآلتها (فى أبواب عدة من الكتاب) والقول بتوفر الحياة والتشويق فيها لان جوهر الحركة فى قصص « كليلة ودمنة » لا يقوم على الاحداث الظاهرة أعنى أفعال الشخصيات وتصرفاتهم وسلوكهم ، وانما يقوم أيضا وبصفة أخص على دعامة أخرى أهم من الاحداث الظاهرة • هذه الدعامة هى الحركة الباطنية أى ما يجرى فى نفوس الشخصيات من أحوال وما يضطرب فيها من ألوان الخواطر والمشاعر والانفعالات •

الحركة إذن فى « كليلة ودمنة » داخلية ولسنا بذلك ننكر أهمية الاحداث الظاهرة فهى تأتى فى المحل الثانى • ومن مجموع الاحداث الظاهرة والاحداث الباطنة ـ مجتمعة فى وحدة لا تتجزأ ـ تنبعث حركة القصة وتسير بما لمسناه فيها من خاصتى الحياة والتشويق •

وينشأ عن ذلك أن الجانب الاهم من الصراع فى « كليلة ودمنة » داخلى نفسانى وليس من نوع الصراع المادى الذى يلحظ مثلا فى أيام العرب ويكون الصفة الغالبة على قصص المغامرات •

وهذه الخاصة أعنى الصراع الداخلى أظهر فى القصص دون الاقاصيص (أى الامثال) لتوفر الجانب النفسانى وأهميته فيها •

نلاحظ فى كثير من القصص أن افعال الشخصيات إن هى إلا تجسيد لما عزمت عليه من أمر (شخصية دمنة ، وكذلك الجرذ (15) ، والغراب

---

(15) انظر «كليلة ودمنة » باب الجرذ والسنور •

الوزير (16)) أو دفعت اليه دفعا من سلوك بعد مد وجزر وخوض طويل فى شتى الخواطر والاحاسيس وتردد بين مختلف النزعات المتضاربة (الاسـد ـ شتربة ـ الملك بلاذ (17)) ٠

معنى ذلك أن دوافع الافعال ومبرراتها هى بصفة عامة أهم نسبيا من الافعال ذاتها ٠ فالشخصيات الرئيسية التى تحرك القصة تعرف سلفا ما تريد القيام به من فعل وهى واعية بذلك الى حد التصميم (دمنة ـ الغراب الوزير) وإن كان ثمة حوار ونقاش فليس لانارة السبيل والاهتداء الى الغاية وإنما لمجرد تبرير الفعل والاحتجاج له ٠

« قال دمنة : أريد أن أتعرض للأسد عند هذه الفرصة ، فان الأسـد قد ظهر لى أنه ضعيف الرأى ، وقد التبس عليه وعلى جنوده أمرهم ٠ ولعلى على هذه الحال أدنو منه بنصيحة فأصيب عنده منزلة وجاها ٠٠ » (18) ٠

ومن ثم كان للكلام Discours وبالتالى للفكرة قيمة كبرى فى « كليلة ودمنة » ٠ وبعبارة أخرى فالقوى الدافعة للقصة هى بالدرجة الاولى الافكار لا مجرد العواطف والاهواء ٠ ذلك أن عالم « كليلة ودمنة » أريد له أن تسيطر عليه الفكرة ويهيمن عليه العقل (فى مفهومه الواسع) تبعا لما تقتضيه الحكمة الهندية ونظرتها الى الوجود ، ولان الكتاب هو أولا كتاب إرشاد وتوجيه وتربية وتأديب ٠

وهذا ما يفسر مكانة الحوار ووفرته الملحوظة بالقياس الى السرد ٠ فالحوار يشغل المجال الاوسع فى الكتاب وهو بمكان القلب من القصة ٠ يتجلى ذلك بصفة أخص فى القصص وهو أبرز فيها منه فى الامثال للسبب الذى ذكرناه آنفا (أعنى القول بأن توفر الجانب النفساني ـ وبالتالى الصراع الداخلى ـ هو الذى يكسب الحركة مزيدا من القوة والانطلاق) ٠

ـ يتبـع ـ

---

(16) **نفس المصدر** باب البوم والغربان ٠

(17) **نفس المصدر** باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت ٠

(18) **نفس المصدر** ص 178 ٠

أوس

الطفل الذي جاء في وقت غير مناسب

شعر : خالد محيي الدين البرادعي

(من فلسطين) ـ الكويت

ـ 1 ـ

يا أيها الآتي من الآتي ،
يا مقبلا .. من مقبل مجهول
تعال .. حدثنا عن الآتي
عن سر عصر مقبل مجهول
سئمت هذا السير في المنفى
والبحث عن مصباحي المطفا
والركض خلف الحلم المقتول
عرافتي بالأمس قد أبحرت
في كفي المعروقة الناشفه
ما تكتب الأقدار ؟ ساءلتها
بين شقوق الراحة الخائفه
فأزهر الصمت بأجفانها
واحترقت نظرتها العارفه
وغادرتني ، بعد إطراقة
شرنقة تحملها عاصفه
تعال حدثنا عن الآتي
يا أيها الآتي من الآتي
واخرق حصار الأعصر الواقفه

ـ 2 ـ

لا تحزن يا أوس إذا
شاهدت أباك غدا
أكبر من تاريخ ولادته
فالأحزان
تتفيأ بين غضون جبيني
والوف القصص المغتالة تسكن وجهي
وحكايات العرب الخضر
تتجول عبر شراييني
تركض في أوردتي
تتسلق جدران دمي
تنتظر العصر الموعود ..
لتولد في ثوب عصري
والعصر الموعود تدحرجه الريح
فهل أنت الصبح لتولد في عينيك
أهل ؟

ـ 3 ـ

إن فكرت غدا .. إحذر
بل إن فكرت .. تخف
فان قوانين عشائرنا
تمنع أصناف التفكير بصوت مرفوع

ـ 4 ـ

تجيء ؟ لماذا تجيء
بعصر تغلغل فيه الفصام

وبلله الدمع حتى العظام
وزورقه
سابح بين بحر الظلام وبحر الظلام
وقابلة الشؤم تغرق فى رحمه راحتيها
وتعلم أن مخاضاته
نزوات ارتجال
وحمى كلام ؟
تجىء ؟ لماذا ؟
بعصر تضيع اتجاهاته
بين شط العراق وبحر الشآم ؟
ورأس المحبة بين دمشق وبغداد
عذراء سربلها دمنا
تضاجع أهواءنا
خنجرا خنجرا بين هذا المقام
وذاك المقام ؟
وعصر الجزيرة ،
عصر القصيدة والعشق ،
نخل بلا رطب
وحب بغير محبين
ضاجع هذا المنام
وطلق ذاك المنام ؟
تجىء؟ وكل الدروب إلى القدس مغلقة
ـ بيد أن اليهود يمرون ـ
بين جنون الحدود
وبين ركام الخيام
تجىء ؟ ●
لماذا بعصر
تكون العروبة أغنية دمويه
تعربها مازن فى الصباح
وتعجمها تغلب فى العشيه ؟
وأحلامنا ،
كرة فى مسارات كل الرياح
تدحرجها بين تشرين والجاهليه
وكل المشاهد سود
يخبئها الليل فى ثوبه
وقابلة الفجر مقطوعة الساعدين
تستر سوءتها
جبة قرشيه ؟

ـ 5 ـ

تشاهد يا أوس ـ بعد نهوضك ـ
كيف شيوخ العشائر
يستنفرون على وهج الفىء أحلامهم
ويلوون أعناقهم للغنائم
تحملها أى ريح إليهم
تشاهد .. كيف تغوص سيوفهمـو
فى التراب
وينسون فرسانهم فى المفارق
عند حدود الشهادة
بين النصوص وتفسيرها
وبعد السقوط
يؤول شيخ العشيرة قرآنه كيفما شاء
وتبقى السدود المعتمة الجانبين
بين الوجوه وأطيافها
غـدا
سوف تدرك
أن حداة القوافل أطياف قاتلة نفسها
فى معارك موهومة
وأن ملوك الطوائف أجمعهم
ظلال لشهواتهم

ينشدون الثمار وراء مواسمها
والسيـوف

ـ جميع السيوف ـ
مجندة فى حروب الطواحين
وأن كلاب الملوك
مدربة أتقنت دورها
تهمهم للسلم إن كانت الحرب قائمة
وتدق طبول الحروب
إذا فتح السلم أبوابه ٠

ـ 6 ـ

تعلمت قبلك
أن الحياة مواربة فى النهار
وبحث عن اللاشىء فى الليل
تعلمت قبلك
رؤية كل المدارات حول إلاه
يسمل عينيه حراسه
وعند حلول المواسم
يستأجرون النوادب يبكينه
تعلمت قبلك ،
رؤية قابلة عند باب الخليفة
يأمرها ٠٠ أن تطرق للصبح
حتى إذا جاء
دسوه فى الطين
قبل تفتح أهدابه
تعلمت قبلك ٠٠
أن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها
ونادى مناديهمو
للوقوف حدادا على قتل أطفالها
وأن العصور تشابه تركيبها
كنسيج السلاسل
أو ٠٠ كلما دخلت أمة لعنت أختها
تعلمت قبلك
أن الذين تبح حناجرهم خلف شمس
الجزيرة ،
فرسان ثلج
وأجياد ثلج
إذا خلعت شمس مكة مئزرها
لتمارس عشق المحبين ٠٠
ذابـوا ٠

ـ 7 ـ

لأن الذى يعشق الآن ٠٠
يزرع فى دربه سنبله
ويسأل عن زمن لم يجىء
ويغسل بالضوء أنحاءه المهمله
ويلثم وجه الربيع
وثغر الرضيع
وكف المقاتل والقابله
ويفرش صحراءه زيزفون
ويملى الشروط على الأعصر المقبله
يحاكـم ٠
وترفع صورته فى المفارق ٠٠ متهما
باجتياز السكون
وإيقاظ حادية القافله
أتفهم شيئا ؟
أتدرك يا أوس شيئا ؟
أتعلم سر التشابك
بين المحبين ٠ والمقصله ؟

– 8 –

مكثت برابية العشق
حتى تحولت إلى عاشق يستطيب الشهادة فيمن يحب

فماذا أحب ؟
أرى الشوك وردا
والفصول اخضرارا
والمواسم خصبا

وغسلت ذاكرتى فى بحيرة عصر
تقول المحبة : آت

ولكنهم .
صادروا أغنيات الهوى
وقال المحلف :

ليست أغانيك ضمن جواز السفر
أتعرف يا أوس

أن المصابين بالعشق مثل الوباء ؟
تصادر أنفاسهم

وتضيق الصحارى بأقدامهم
هل أقول : أحبك ؟

إن جنود ملوك الطوائف حولى
يقولون : إحذر !

فانا نصادر كل الأحاسيس التى لا نراها

مدونة فى جواز السفر
ملوك الطوائف يا أوس كالرمل
اشتات تكوينهم

وهواية قتل المحبين تجمعهم
وحتى تعيش على الأرض دون خطر
آقصص جناحيك

كن شجرا يابسا فى مسارات كل الفصول

ولو كنت تعلم
ما خبأ الحرس الملكى
للعاشقين
وللقادمين
لما كنت جئت .

– 9 –

ليتك تبصر يا أوس غدا
وجه العالم أكبر من صورته
ليتك تبصر حجم العالم أصغر من بصمته

حتى لا تبكى

– 10 –

تدرك .. لما ترسم أول حلم
أنك جزء من تاريخ
زوره أشياخ قبائلنا
سرقوا حنجرة مغنيه
وعين مؤرخه
وقوافل شهدائه
تدرك أنك جزء من عصر محشو بالقش
وفى شفتيه عصافير من شمع
تضحك .

– 11 –

حين يغور جدول الحب
وتسخن الحصباء
وكل أفراس النبى تنطوى
فى رحلة الرمضاء

ويخلع الفراش أجنحته
ويرحل المصور المبدع من أحلامنا
وتزحف الصحراء
تبلع كل أخضر
تبلع كل يابس
تمتـد
حتى تلتقى الجفون بين أفق العراء
وأفق الخواء
ويصل القحط إلى نهاية
يقال : ليس بعدها وراء
وتخشع الشفاه ــ فى يباسها ــ ضارعة
يقال ، عندها
تنفجر الحياة من تخلخل الأشياء
يــا أوس
أنت جئت يوم ارتطمت
بالشفة اليابسة الريح ،
وفرد الليل صواريه على الميناء
أتيت فى تخلخل الأشياء
فهل تجىء فى مجيئك الحياة
وتصدق النبوءة الخضراء ؟

ـ 12 ـ

أتطلب توضيح صوتك فى لغتى ؟
وتحديد لونك فى صورتى ؟
لم أكن أتصور صوت حضورك
قبل حضورك
ولما أتيت
تبدل لون السواد مفاجأة
وتوالد حلم جديد
يفتش عن غيمة
تمطر الحزن فى أرضى الناشفه
تمدد حجم الهموم
وزاد ضجيج الصدى
وعادت لذاكرتى قوة سالفه
وها أنا أمشى أمامك مستعرضا
سنين الترحل بين المحيطات والأرصفه

هــامـش

ما جئت على قدر يا أوس
وأخشى
أن العصر الأسود
ليس مناسبة لولادات الأزهار
أخشى ..
أن التوقيت المغلوط
سيتعبك ويتعبنى
ولأنك جئت
كن حذرا
عند وصولك غابات الأحلام .

خ. م. ب.

ظاهرة المزج اللغوي عندنا

بقلم : محمود النوادى

(الكنــدا)

أنا تونسى غادرت أرض الوطن منذ 1966 الى أمريكا الشمالية حيث درست علم الاجتماع وعلم النفس فى كل من الولايات المتحـدة وكنـدا • وأنا الآن بصدد كتابة أطروحة شهـادة الدكتـوراه ، وفى نفس الوقت أدرس العلوم الاجتماعية بجامعة كندية انقليزية وأخرى فرنسية •

منذ مغادرتى لتونس الى أمريكا الشمالية فى السنة المذكـورة أعـلاه لم أكلأ جهدا فى زيارة أرض الوطن كلما سمحت لى الظروف بذلك • فزيـارتى هذا الصيف (1975) لتونس تعد المرة الرابعة التى أرجـع فيها الى الـوطن زائرا للأهل والاصدقاء ولبعض المناطق من الجمهورية •

وفى كل مرة رجعت فيها للزيارة حاولت شخصيا أن أتفهم بعض الملامـح والظواهر فى مجتمعنا وحياتنا التونسية التى ربما أنا الآن أكثـر تجـربة لفهمها • فحياتى ودراستى فى مجتمع أمريكا الشمالية أعتقد أنهـا مـدتنى وتمدنى بنظرة تحليلية خاصة فى تطور المجتمعات وتفاعلاتها • ولعل دراستى لعلمى النفس والاجتمـاع أعطتنى قـدرة جديـدة تمكننى مـن فحص حيـاة المجتمعات وسلوك افرادها بطريقة أقرب الى الموضوعية والروح العلمية •

إن علماء النفس والاجتماع فعلا يدرسون ، فى الوقت الحاضر ، الافـراد والمجتمعات حسب طرق ومقاييس جديدة تجعل الظاهرة النفسية والاجتماعية ممكنة الدرس موضوعيا وتجريبيا ، وهذا يعنى أن هذه المحاولات فى العلوم الاجتماعية تسعى الى فهمعلميللظواهر النفسية والاجتماعية بما للدلالة العلمية من مفهوم حديث فى العلوم كالفيزياء والطبيعيات والكمياء • إلا أن المتخصص فى العلوم الاجتماعية يلاقى أكثر صعوبات من المتخصص فى العلوم البحتة • إذ أن الظاهرة النفسية والاجتماعية أثبتت للمختصين فى هذا الميـدان أنهـا ليست يسيرة المنال أحيانا لكل شغوف بفهمها • ولهذا فهى تتطلب عندئـذ مقاييس ومعايير أكثر نضجا ودقة • واذا كانت طبيعـة الظـاهرة النفسيـة

والاجتماعية لا تخلو من تعقيدات جدية ـ قبل الوصول لفهمها ـ فان هذا يملى علينا موقف التفهم حيال البحوث الاجتماعية والنفسية التى قد لا تظهر نضجا ودقة علمية فى فروضها وخلاصاتها • والمهم دائما فى كل العلوم هو أن تتوالى المحاولات لفهم ما صعب فهمه وإكتشاف الجديد •

فمن الظواهر الاجتماعية التى وجدت نفسى مشدودا لمتابعتها وفهمها هذا الصيف فى تونس الجمهورية هى ظاهرة المزج اللغوى •

وأعنى « بالمزج اللغوى » هنا هو مزج دارجتنا التونسية خاصة بالكلمات والعبارات الفرنسية • فمما يلاحظ فى هذا الصدد أن المواطن التونسى المازج يبلغ أوج المزج اللغوى عندما يستعمل الدارجة التونسية • وأما الفرد التونسى الذى يتكلم العربية الفصحى أحيانا فانه نادرا ما يمزج بالفرنسية عربيته حتى وإن كان يتقن هذه الاخيرة • فغالبا يقع المزج عنده اذا إضطر الى استعمال اصطلاح فرنسى شائع عند مخاطبيه أو بيئته • وهذه الملاحظة تومىء الى أن متكلم العربية الفصحى له نوع من الحصانة ضد الانسياق فى تيار المزج اللغوى المبالغ فيه • وهذا يعنى أن تكلم العربية الفصحى عند أفراد أمتنا يعطيهم شعورا ذاتيا أكثر بلغتهم وحضارتهم وذاتيتهم ، ولهذا تجدهم عموما يمتنعون أكثر من غيرهم ، فى المجتمع التونسى ، من الانزلاق فى المزج اللغوى المبالغ فيه • وفى نظرى فان القدرة ـ وليس حتى التطبيق الفعلى ـ على التعبير بالعربية الفصحى بسهولة ينقص من نسبة المزج عند المواطن التونسى ، لأن إحدى الاسباب لتعاطى المزج اللغوى عند أى فرد وأى مجتمع هو عدم قدرتهما ـ بسهولة ووضوح ـ التعبير عما يريدان التعبير عنه فى تيار الحياة الاجتماعى والفردى •

إذن فمتابعتى لهذا النوع من المزج اللغوى (الدارجة التونسية مخلوطة بكمية لا بأس بها من الكلمات والعبارات الفرنسية) عندنا فى الجمهورية مبنية على أن هذا المزج أكثر وقوعا فى مجتمعنا التونسى من المزج مثلا بين العربية الفصحى والفرنسية وأكثر نشازا من المزج بين العربية الفصحى والدارجة نظرا لقرب هاتين اللغتين بعضهما من بعض وبعد الدارجة التونسية عن الفرنسية أصالة وتركيبا ونطقا ورنة •

ومتابعتى لهذه الظاهرة مستندة على أن هذا النوع من المزج له إنعكاسات نفسية واجتماعية تختلف فى طبيعتها عن انعكاسات النوعين الآخرين من

المزج اللغوى . ثم أن ظاهرة هذا المزج اللغوى ـ فى تقديرى ـ لم تقل انتشارا فى البلاد التونسية بعد حصولنا على الاستقلال التام . كل هذا جذبنى لكى أراقب حدوث ظاهرة المزج وأنا أسافر فى ربوع الجمهورية من شمالها الى جنوبها هذه الصيفية (1975) . وقبل أن أدلى ببعض الملاحظات عن انعكاسات هذه الظاهرة ، ظاهرة مزج الدارجة بالفرنسية ، دعنا ندع بعض الامثلة والعينات لهذه الظاهرة عندنا فى الجمهورية تتكلم عن نفسها كما شاهدتها شخصيا تحدث بين تونسيين من الشمال الى الجنوب مدة تجوالى هذا الصيف.

1 ـ ذهبت الى المركز السياحى بسوسة بغية أخذ بعض الاسترشادات السياحية لما كنت بصدد أخذ بعض التفاصيل عن أفضل الطرق للذهاب الى جربة . وإذ أنا أتحدث مع المكلف دخل شاب تونسى فى العشرين من عمره وطلب بالدارجة من المكلف استرشادات عن كيفية تقديم مطلب للشغل بالمصلحة السياحية ورد المكلف على الشاب برد يحتوى على أكثر من النصف بالفرنسية ذاكرا للشاب الاوراق اللازمة والعنوان الذى يجب إرسال الاوراق إليه . وإذا بالشاب وكأنه يتأثر بلغة المكلف (ذى السلطة على الشاب حينئذ) يأخذ هو الآخر بمزج لغته الدارجة بالفرنسية تقريبا بنفس نسبة المزج التى اتبعها المكلف على المصلحة السياحية بسوسة .

2 ـ لما كنت مارا بصفاقس فى اتجاه جربة أردت مهاتفة صديق تونسى كى أبلغه تحيات صديق تونسى له بكندا . فذهبت الى نزل سياحى وسط المدينة باحثا عن تلفون كى أكلم منه صديق صديقى . أعطيت الى الفتاة المتكلفة بالمكالمات الهاتفية الرقم الهاتفى باللغة الدارجة التونسية ، فاذا بى أرى على وجه الفتاة نوعا من عدم الرضا إما أن يكون سببه عدم فهم الرقم بدارجتنا التونسية أو عدم رضاها وخجلها من ذكر الرقم لها بالدارجة !

لما رأيت هذا النوع من الحيرة فى وجهها أعدت اليها نفس الرقم بالدارجة التونسية ، فاذا بها تفهم وتعى الرقم هذه المرة لكن تكرره لنفسها ـ ولربما لى تأنيبا ـ بالفرنسية كأن تكراره بهذه الاخيرة أعطاها سكينة ونضجا حضاريا ليس لغة الوطن قادرة عليه !

3 ـ ذهبت الى مسرح قرطاج الاثرى لأشاهد « كاركالا » ذلك البالى اللبنانى . كان ذلك ليلة 9 أوت 1975 . قبل بدء هذا البالى أعلن مسؤول وهو يتكلم فى مضخم صوت عن العثور على رخصة سياقة ضائعة . أخذ المسؤول

يعطى أوصاف ونوع السيارة الخ ... ولما حان ذكر رقم السيارة لم يستطع المسؤول أن يواصل التكلم بالدارجة التى بدأ بها هذا الاعلان ولاذ حينئذ الى ذكر رقم السيارة بالفرنسية !

إن المثالين السابقين يومئان الى نوع خاص من حب المزج اللغوى عندنا . ذلك أن كثيرا من التونسيين خاصة اذا كانوا فى مصالح ادارية حكومية كالهاتف ، ومحطة القطار والمصالح السياحية يجدون أنفسهم يفضلون نطق الارقام بالفرنسية عوضا عن الدارجة . وإنى شخصيا لمست هذه الظاهرة لمسا فعليا عند إحتكاكى بالمواطنين التونسيين فى مناسبات متعددة وجهات مختلفة من الجمهورية . وللمرء أن يتساءل لماذا يلجأ التونسى فى كثير من الاحيان الى ذكر الارقام بالفرنسية عوضا عن الدارجة ؟ فى نظرى لا بد أن يكون له تفسير . يمكن أن يكون راجعا الى شعور بالرشاقة لدى الفرد المازج عند ذكر الرقم بالفرنسية . يمكن أن يكون راجعا الى عادة إكتسبها الفرد التونسى على مر السنين . والشغوف بهذه الظاهرة الخاصة فى امكانه أن يغوص فى لب هذه الجزئية من المزج اللغوى عندنا .

4 ــ فى محادثاتى فى الشمال والوسط والجنوب كنت ألاحظ ظاهرة المزج اللغوى (أعنى مزج الدارجة بالفرنسية) باطراد . وكانت الكلمات الفرنسية تزداد فى كلام محدثى كلما علموا أنى أعرف الفرنسية والانقليزية وأن لى عددا من السنين فى أمريكا الشمالية . كان الامر هكذا حينما كنت اتحدث مع شاب دستورى فى البقالطة . كان هذا الشاب مسؤولا على مجموعة من الشبان المتطوعين لبناء ناد للشباب فى هذه القرية . كان الشاب طالبا جامعيا ولكن حديثنا كان بعيدا عن المسائل العلمية ، بل كان حديثا بسيطا يدور حول عدد الشبان المتطوعين ، نوعية وعدد الأكلات التى تطهى لهؤلاء الشبان والحسابات المالية التى يتطلبها عدد هذه الأكلات . رغم بساطة حديثنا ومقدرة دارجتنا العربية ــ لغة الحزب قوميا ــ إختار محدثى أن يكثر نسبة الفرنسية فى تفسيره لبعض التفاصيل . وكنت أتكلم معه دائما بالدارجة ولم يوح اليه ذلك أنى غير مجذوب للمزج اللغوى بل أنى أفضل الصفاء اللغوى .

5 ــ ظاهرة المزج اللغوى لاحظتها عند الكهلة التونسيين مثل شواش بعض المؤسسات عندنا . لاحظت أنهم يكثرون فى المزج كلما علموا أنى أعيش فى أمريكا الشمالية منذ سنوات وأنى أحسن الفرنسية والانقليزية . ونفس

الشيء يمكن أن يقال عن سلوك شبابنا التونسي الذى سمحت لى الفرصة أن أتحدث معه بعد أن عرف شيئا عن حياتى فى الخارج وثقافتى . أعنى هنا أن المرء يمكن له أن يلاحظ بسهولة هذه العلاقة بين الاكثار من المزج اللغوى عند كثير من التونسيين الذين يعرفون الفرنسية أو شيئا منها الى جانب الدارجة ومدى تغرب محدثهم ثقافة . باختصار أنى لاحظت أن محدثى أكثروا من الغلط اللغوى كلما اكتشفوا أن لى زادا من الحضارة الغربية من حيث ثقافتى وعدد السنين التى قضيتها هناك .

6 ـ من الملاحظات الاخرى التى سجلتها أثناء احتكاكى بالمواطنين التونسيين أن ظاهرة المزج وصلت عند بعض الافراد ، على الاقل ، عالم « اللاشعور » أو درجة السلوك « اللاإرادى » Obsession . يتضح هذا فى حالات مع بعض الاصدقاء خاصة حيث أثيرت مشكلة المزج اللغوى ونوقشت وآتفق هؤلاء الاصدقاء على أن هذه الظاهرة ظاهرة مشينة للمواطن التونسى . لكن هؤلاء الاصدقاء انفسهم يعودون فى مناسبات أخرى الى المزج اللغوى خاصة اذا تحدثوا عن أرقام أو تواريخ مثل 25 أوت ... فانهم كانوا يفضلون ذكر ذلك التاريخ بالفرنسية ...!

بهذه الامثلة المحدودة من مجتمعنا التونسي لا أقصد المجىء بالجديد لكل من يملك حاسة الملاحظة الاجتماعية . بل هدفى من هذه الامثلة ذكر حالات واقعية مشاهدتها تقع بين مواطنين تونسيين أثناء زيارتى لارض الوطن هذه الصيفية . وإنها هكذا ليست حالات خيالية يصعب على المرء التكهن بامكانية وقوعها .

ولنفهم دوافع المزج اللغوى عند المازجين يجب على المرء أن يتفهم بعض وظائف اللغة .

أ) من أولى وظائف اللغة ـ طبعا ـ التخاطب والتفاهم بين الافراد والجماعات والمجتمعات .

ب) فى تقديرى أن من مهام اللغة تلك الوظيفة النفسية التى تؤديها الى المتكلم بها، أعنى المتكلم بلغة ما فى عصرنا الحاضر خاصة أنه يمكن له أن يبلغ ـ عن طريق استعمال اللغة التى يختارها ـ مطلبا ترغب فى اقتنائه شخصيته كحب كسب صفة التعصر والتحضر والمدنية والبعد عن صفات أخرى لا تحبذ الاتصاف بها شخصيته مثل البداوة والتخلف والتحجر العقلى الخ ...

إن الفرد فى عصرنا الحديث يتطلع الى ما يسمى بالحضارة المتقدمة لان هذه الحضارة ـ رغم ما قيل فيها خاصة أخيرا ـ ما زالت لها قوة جذب فى أرجاء المعمورة. ومحاولة الانتماء الى هذه الحضارة المتقدمة ـ خاصة الحضارة الغربية ـ يحقق لدى الفرد طلبا نفسانيا هو حب الشعور بالانتساب الى العالم المتحضر وما لذلك من انعكاسات على شخصية الفرد وآفاق حياته • إن عالمنا المعروف بالمتحضر اليوم سمح للفرد بمكاسب كثيرة لم يكن هذا الاخير قادرا حتى على الحلم بها قبل ظهور فكرة التقدم فى أوروبا التى كانت مقرونة بمفهوم العلم • كل ذلك يجعل الامر طبيعيا أن يحاول الفرد بكل الوسائل ، ومنها اللغة ، أن ينتسب ـ ولو قليلا ـ الى حضارة التقدم أو الحضارة الغربية بصفة أخص •

وبما أن اللغة عنصر عمودى للانتساب الى أى مجتمع أو حضارة فبان للفرد أن أقرب وأسهل الطرق للانتساب الى حضارة التقدم هو تكلم لغة الحضارة الغربية ومزجها ـ بنسبة أقل أو أكثر حسب المناسبات ـ بدارجة البلاد • هذه العملية المختصرة توهم للمازج أن عملية الانتساب قد تمت الى الحضارة الغربية المنشودة رغم أن عناصر أخرى مهمة فى الانتساب الصحيح الى هذه الحضارة ما زالت مفقودة عند المازج التونسى الذى يخلط دارجته بالفرنسية بافراط •

ج) وفى تقديرى أيضا أن استعمال المزج اللغوى يؤدى وظيفة اجتماعية الى المازج شبيهة بالوظيفة النفسانية التى يتحصل عليها الفرد من الخلط اللغوى فى مجتمعنا التونسى • وهذه الوظيفة الاجتماعية تتلخص فى أن الخلط اللغوى يعطى لخالطه ـ تصورا وإعتقادا ـ شعورا بالاحترام والسطوة الاجتماعية لدى المحتكين به • فالمازج للعامية التونسية بالفرنسية كثيرا ما يعتقد أن تأثيره الاجتماعى يزداد قوة وصلابة اذا هو قام بعملية الانتساب هذه عن طريق إمتطاء اللغة الفرنسية كوسيلة الى ذلك الهدف • هذا التصور الذى يشغل بال الفرد المازج يجعله فى النهاية يشعر أنه من الفئة المتحضرة لمجتمعه ولما لهذا التصور من انعكاسات على علاقة هذا الفرد ببقية مجتمعه من حيث مكانه فى الهرم الاجتماعى لمجتمعه • باختصار إن الخلط اللغوى قد يبوىء ـ توهما أو واقعا ـ صاحبه مكانا مرموقا فى التركيب الاجتماعى لبيئته • وهذا لعمرى كسب اجتماعى غير حقير للمازج اللغوى •

وبالكسبين النفسى والاجتماعى يشعر المازج أنه بخلطه هذا يكسب علاقة اجتماعية وشعورا نفسانيا ساطعة شمسهما • وهذا السطوع يتمثل في شعور

الخالط اللغوى أنه لم يعد حقيرا نفسانيا واجتماعيا • وأن علاقاته بأفراد المجتمع تتحسن أكثر فأكثر اذا هو حافظ على المزج اللغوى فى احتكاكه بأفراد مجتمعه الذين هم الآخرون لهم نوع من ذلك التصور وبذلك يشجعون المازجين على الاستمرار على الخلط وينعدم بذلك الشعور الاجتماعى الذى كان يمكن أن يلعب دور المقاوم للمزج اللغوى فى المجتمع التونسى • وشخصيا فانى لاحظت عدم وجود الشعور الاجتماعى ضد ظاهرة الخلط فى الاوساط التونسية بصفة عامة وخاصة بين أفراد مجتمعنا الذين لهم ثقافة أمتن باللغة الفرنسية •

فى تقديرى أن عدم وجود شعور قومى عام ضد ظاهرة الخلط اللغوى يضع مجتمعنا التونسى أمام حقيقتين •

1) أن نسبة الخالطين فى مجتمعنا التونسى سوف تزداد بدل أن تنقص وذلك لعدم وجود المعارضة العلنية الاجتماعية للمزج اللغوى ولكثرة نسبة المواطنين التونسيين بعد الاستقلال ــ لتعميم النظام التربوى فى كل أنحاء الجمهورية ــ القادرين على إتقان قدر ما ــ على الاقل ــ من الفرنسية • فهذان العاملان فى نظرى يومئان إلى أن ظاهرة الخلط اللغوى فى مجتمعنا التونسى ليست فى طريق الانقراض ولا حتى فى طريق الاصلاح الجزئى •

2) الحقيقة الثانية هى أن مشاريع التعريب عندنا لا تجد تشيعا اجتماعيا دافعا ولذلك ــ فى نظرى ــ فان هذه المشاريع ــ وحتى وإن وجدت ــ ستبقى حبرا على ورق ما لم تلق تشجيعا اجتماعيا جديا يحول قضية التعريب الى واقع ملموس فى حياة الفرد والجماعات والمجتمع بصفة عامة •

ولسائل أن يسأل فى هذا الصدد : هل المزج اللغوى ضرورى ؟ وهل يجب تشجيعه ــ إجتماعيا وفرديا ــ ؟ وهل أن دوافعه يمكن الدفاع عنها فى كل الحالات ؟

أولا : إن المزج اللغوى يمكن أن ينظر له بأنه أصبح ضروريا خاصة فى عصرنا الحاضر الذى صغر فيه العالم لوجود وسائل المواصلات وكنتيجة لذلك كثر عدد الافراد الذين يعرفون على الاقل بعض المفردات والعبارات من لغات اجنبية أخرى • وعلى هذا الاساس فهذا النوع من المزج اللغوى ظاهرة منطقية لواقع جديد خاصة فى عصرنا الحديث •

فهذا النوع من الخلط اللغوى يختلف فى دوافعه عن أنواع أخرى من المزج اللغوى • فهو مزج يستعمل بعض العبارات والمفردات المحدودة التى أخذت طابعا عالميا مثل « بلوجينس » ، « التلفزيون » ، و « الراديو » الخ • هذا النوع من الخلط اللغوى هو ضرورى نوعا ما وغرض المازج عامة هو غرض استعمالى وعملى •

فهو إذن مزج لا يحتم علينا تأنيب فاعله لانه خلو الى حد كبير فى غالب الحالات من الدوافع النفسية والاجتماعية التى لها انعكاسات غير سليمة على الفرد والمجتمع •

ثانيا : أما المزج اللغوى الذى يترقب من ورائه الفرد نفعا نفسيا اجتماعيا فهو الذى يتطلب تفهما أعمق واتخاذ موقف جدى منه •

فى نظرى إن هذا النوع من المزج يغالط الفرد فى تقييم نفسه نفسيا (ذاتيا وحضاريا) واجتماعيا (علاقاته بالافراد فى الهرم الاجتماعى) وهو أيضا تصور خاطىء يحسبه المازج واقعا اجتماعيا هو جدير بتبوئه • فمن هذين الزاويتين يبدو أن هذا النوع من المزج اللغوى لا يؤدى الا تصورا خاطئا للفرد حيال نفسه وحيال علاقاته ببقية المجتمع • وإن السماح للمزج اللغوى كعنصر لتفريق مجتمعنا هو ضربة الى وحدة الوطن التى تحتاج الى العنصر اللغوى كموحد لا مفكك لنا • ورغم عدم وجود معارضة جماعية بارزة ضد الخلط اللغوى فان نوعا من الشعور ــ على الاقل ــ المنتقد للخلط اللغوى موجود بين فئات وإن كانت هذه الفئات لا تمثل الاغلبية • وهذا ما أعنى بان الخلط اللغوى يمثل ــ فعلا ــ نوعا من التمزق الاجتماعى الذى لسنا بحاجة اليه ولا ينبغى لنا أن نكون فخورين به ونلهى بعضنا البعض بالنقد والفخر على أن ذلك عصرى وهذا تقليدى • وفى اعتقادى أن تلافى هذا التمزق الاجتماعى ممكن اذا قمنا جديا بتقويم نظامنا التربوى **حضاريا** ونشر الوعى الاجتماعى حول الخلط اللغوى كما قمنا بحملات اجتماعية حول التنظيم العائلى ، حول النظافة ، حول محو الأمية الخ •••

إن نظامنا التربوى الحالى لا يعطى التلميذ ولا الطالب زادا كافيا من الثقافة العربية يمكنه من التعبير عن نفسه بسهولة بالعربية • إن التعريب الجدى فى صلب برامجنا التربوية يجب ــ على الاقل ــ أن يمكن المتحصل على شهادة الباكالوريا من التعبير عن نفسه فى الحياة العامة وفى المسائل الثقافية بقدرة

تعادل ـ على الاقل ـ قدرته على التعبير عن نفس الاشياء بالفرنسية • وفى اعتقادى أيضا أن حملات قومية يجب أن تشن لصالح تطهير لغة المواطن التونسى وإبراز انعكاسات الصفاء اللغوى على حضارتنا وعلى ذاتية أفراد أمتنا • ولا بد أن يكون النظام السياسى عندنا وراء هذه الحملات دافعا ومشجعا على تغيير هذه العقلية التى ما زالت ـ ويا للاسف ـ رابضة نفسيا واجتماعيا فى مجتمعنا •

إذ نفعل ذلك نكون قد ساهمنا جديا فى الخروج من دائرة تخلف كما نحاول ذلك فى مجالات أخرى كالاقتصاد والتنظيم العائلى والصحة العمومية ، التى قطعت فيها تونس بشهادة العالم اشواطا قيادية بين دول العالم الثالث •

والاستقلال العقلى هو كسب لم تتحصل عليه كثير من الدول التى تحصلت فعلا على استقلالها السياسى والعسكرى و ••• و ••• والاستقلال العقلى أظهر أنه لا يتبع بسهولة الاستقلال العسكرى ، والاستقلال الاقتصادى و ••• و ••• بل يجر اذياله وتدخل أشعته كل العقول اذا تم الاستقلال الثقافى للمجتمع • وفى تونس ـ فى نظرى ـ ما زال لنا طريق غير قصير للحصول على الاستقلال الثقافى الذى يسدد ضربة بناء الى ظاهرة الخلط اللغوى ويعطى دفعة وثانية للغة البلاد تربية وشعورا اجتماعيا • وحذار من أن نغالط أنفسنا بالوهم ونعتقد أننا قد تحصلنا على الاستقلال الثقافى • علينا أن نتمهل قبل اصدار مثل ذلك الحكم على أنفسنا • إذ أن التخلف العقلى أثبت عبر التاريخ ـ فى تجارب أمم متعددة ـ أنه ذو مقدرة مدهشة فى التخنس عن العين المجردة وعن المواطن العادى •

وخطره على الفرد والمجتمع غير واضح بسهولة للملاحظ العادى • ولكنه مع ذلك يبقى خطرا على الفرد ومجتمعه كبعض الاعراض التى هى غير واضحة للملاحظة البسيطة ؛ ولكنها مع ذلك تخرب الجسم وقد تثبت فى النهاية أنها أكثر خطرا من تلك الامراض التى تدركها العين المجردة والملاحظة العادية بسهولة •

وفى نظرى أن الاستقلال العقلى واسترجاع الذات التونسية لها عناصرها الصامدة فى الفرد التونسى المازج شعوريا أو غير شعورى • ومن بين عناصر الذات لغة الوطن طبعا • وقد لاحظته يغار على لغته وذاته حتى عندما كان يتقن اللغة الفرنسية أحسن من اتقانه العربية • لاحظت هذه الغيرة تسطو جديا

فى سلوك وحتى فى نبرات بعض شبابنا المثقف بالفرنسية ، كنت راجعا من « حومة السوق » بجربة فى حافلة نقل عمومى الى النزل على الشاطىء حيث مكثت • كانت الحافلة ملآنة وكان كثير من الركاب واقفين • وكنت أحدهم فى مؤخر الحافلة • كان بجانبى ثلاثة شبان تونسيين يبدو انهم يدرسون فى الجامعة التونسية • كانوا يتجاذبون أطراف الحديث بلهجة « باريسية » مع ثلاثة سواح فرنسيين أحدهم رجل كان هو الذى يقوم بمعظم المحادثة مع الشبان الثلاثة • وأثناء هذه المحادثة قال السائح لهم وكانه يؤكد حقيقة : إن الفرنسية هى اللغة الرسمية فى البلاد ! واستنكر الشبان ـ بنوع من اللطف ـ على ما قاله السائح وأردفوا قائلين له إن محاولات التعريب موجودة فى قطاعات كثيرة فى البلاد ، كوزارة الداخلية وبعض المواد أصبحت تدرس بالعربية بعد أن كانت تدرس بالفرنسية الخ •••

هذا الموقف الذى وقفه شبابنا الثلاثة حيال الذات واللغة يكشف بوضوح عن وجود شعور داخلى عندنا يؤمن بشخصيتنا وحضارتنا ولغتنا ولم يقدر الشباب أن يمزجوا شخصيتهم ـ وهم يتحدثون مع السائح ـ بشخصية وحضارة ولغة فرنسا • فهذه الملاحظة تومىء الى عمق شخصية وحضارة كل فرد ينتسب الى أمة وحضارة معينة ، وأن الظواهر السطحية ـ كظاهرة المزج اللغوى ـ ربما تخفى صلابة وصمود عناصر أخرى فى شخصية الفرد ونوع انتسابه الحقيقى الى حضارة وثقافة معينتين•

فوجود عناصر شخصيتنا وحضارتنا لا يمكن انكارهما ـ حتى ولو كثر المزج فى بلادنا ـ • وعلى هذا الاساس أساس وجود وصلابة مثل هذه العناصر فى شخصيتنا فانه يبدو منطقيا أن نقوم بحملات تظهر هذه العناصر الى عالم الجهر والسفور لا عالم الخجل والحجاب • وإذا تم ذلك فان الوعى الاجتماعى يقوم هو الآخر بوظيفة المراقب والمدافع والحامى لكل ما يلمس شخصية مجتمعنا التونسى مثل ظاهرة الخلط اللغوى المنتشرة عندنا بكل حرية وخلاعة •

م• ذ•

طالب ـ أستاذ بمنريال كندا

فى 3 سبتمبر 1975

نور اللـــوز..

شعر : الصادق شرف

عاشت لـوزة زمانا في خاطر نافـذة
أطلّ منها على الوجـود ..
وهاهي تعيش اليـوم في خاطرة مني
سيطل منها الوجـود عليّ الى الأبـد .

* * *

غيمة بيضاءُ في أفقِ شُرُودِي . ؟
أمْ نُـوّارُ اللّـوْز في عمقِ وُجُـودِي . ؟
يحلم الخاطرُ في بُرْعُمِ ذهني ..
يـورِقُ البُرْعُمُ في زهـرةِ فنّي ..
فإذا الزهـرةُ في ثَلْجِ الصّقيـعْ ..
شاعـر يحلمُ بالـدّفْءِ الوديعْ ..
قبلَ ميـلادِ الرّبيـعْ !
تَجلِـسُ الاحـلامُ تحتَ الصّـوفْ ..
ذِهْنُهَا في خَـارج البيتِ يَطُوفْ ..
رَاكِضا خَلْـفَ فَرَاشـهْ ..
لم تَكـنْ الاّ ارتعَاشَـهْ ..
صَوّرَتْهَا لـذّةُ الـدّفْءِ على شَـكْلِ انتِعَاشَـهْ ..
فَإذا هَبّتْ منَ الإغْفَـاءِ أسـرابُ النَّسِيمْ ..
مِثل سـربِ النّحْلِ في غَوْرِ النّعِـيمْ ..

تَقِفُ الأرضُ على سَاقِ الفَطِيمْ .

* * *

هَلْ تَرَى الخطَّافَ عَادْ ..
مِنْ بِحَارٍ ضَاعَ فِيهَا سَنْدبَادْ ..
ضَيَّعَ المجدافَ لَوْلاَ شَهْرَزَادْ .. !
وجدتْهُ تائها من غيرِ زَادْ ..
ورَآهَا .. فرأى الخطَّافَ .. فَابْيَضَّ السَّوَادْ !..
تَابعَا الرِّحلةَ فالموجُ امتِدَادْ ...
يَصِلُ البحرَ بميناءِ البِلادْ ..
أصبحَ الزورقُ في الأفقِ جناحا في الأفقْ ..
ريشُهُ خَضَّبهُ لَوْنُ الشَّفَقْ ..
يتَدَلَّى .. يَتَثَنَّى .. يتَعَلَّى .. يَتَزَلَّقْ ..
وَهَفَا القلبُ لِلُقْيَاهُ .. وَهَفَا ..
وبَنَى لِلْخِصْبِ تَحْتَ السَّقْفِ سَقْفَا ..

* * *

أَزْهَرَ اللَّوزُ على شُرْفَةِ بيتِي ..
أَوْرَقَ البَيْتُ على أعْذَبِ صَوْتِ ..
وَطَلَى صَوْتَ جَنَاحَيهِ بِزَيْتِي ..
زَقْزَقَ العصفورُ فِي لَهْوٍ لَعُوبْ ..
أَبْدَعَ اللحنَ .. ولِلابْدَاعِ لِي قَلْبٌ طَرُوبْ !
رَقَّ حَتَّى قُلْتَ : قلبي سَيَذُوبْ !
وَلِمَاذَا لاَ يَذُوبْ !؟
وَهْوَ مَنْ يرْقُصُ لِلَّحْنِ .. يُغَنِّي ..
كُلَّمَا أَصْغَى الى الصَّوتِ الأغَنِّ ..

خاطر يَشْدُو علَى غُصْنِ التَّمَنِّي ..
لوزة تَرْفُلُ في ضَوْءِ التَّثَنِّي ..

* * *

نَوَّرَ اللَّوْزُ .. فما أحلى النُّوَّارْ !
غَيْمَةَ .. أم خَيْمَةَ بَيْضَاءُ في شِبْه احْمِرَارْ ؟
أَمْ هُوَ القُطْنُ على الوَرْدَةِ قَدْ أَرْخَى السِّتَارْ ؟!
أَمْ أَرَى شَقْرَاءَ مِنْ غَيْرِ إِزَارْ ؟!
تَسْتَرِيحُ الشمسُ في أحضَانِهَا طُولَ النَّهَارْ ! ؟
كُلَّ ما فيها جمال وجميل .. وجَمِيلْ ..
غَادَةَ شقراءُ في شمسِ الأَصِيلْ ..
مَالَتِ الشمسُ .. وكَادَتْ لَنْ تَمِيلْ ..
شَدَّهَا لِلَّوْزَةِ الفَيْحَاءِ عِشْقٌ مُسْتَحِيلْ .!
وَحَمَام فَوْقَهَا يَهْدِلُ .. ما أَحْلَى الهَدِيلْ !!
عَاشِق يَدْعُو إلى الحُبِّ الأَصِيلْ
لِنَوَاةِ الخصبِ تَمْتَدُّ إلى خَلْقِ نَوَاةْ ..
لانْبِعَاثِ النَّبْتَةِ الخضْرَاءِ من كُنْهِ الحَيَاةْ !
بَطْنُهَا بِكْر .. وَفَلَاحٍ بِمحراثٍ عَتِيْ ..
فَضَّهَا كَفٌّ نَبِيْ ..
فاذا الجُرْحُ على الأرضِ سَخِيْ ..
واذا الاعشابُ تَنْمُو في الجِرَاحْ . !
عندها تَرْتَاحُ في عَيْنَيَّ أعْصَابُ الصَّبَاحْ !
ما أَلَذَّ الارْتِيَاحْ !
فَوْقَ مَوْجٍ سُنْبُلِيٍّ ... نَوْرَج يَمْضِي يَجِي ،!
في ظلالِ البَيْدَرِ المُبْتَهِجِ ..

.. من مـدار النَّوْرَجِ ..
تَتَعَبُ الأكْيَاسُ .. مِنْ مَلْءٍ .. وَإِفْرَاغٍ .. وَنَقْلٍ ..
وَيَخِرّ الجُـوعُ مَصْرُوعا كتمثالِ هِرَقْلٍ ..
فإذا في الـدربِ اسراب من النَّمْلِ ..
ألغَتَ القَـوْلَ .. ولم تؤْمِنْ بغيرِ الفِعْلِ !
أيْنَ أهْلِي !؟
أيْنَ مِنْ اسرابِ هَـذَا النَّمْلِ أهْلِي ؟!
لَيْتَهُمْ سَارُوا بنَا ... حَتَّى عَلَى مَهْلِ !!
نَمْلَةٌ تحملُنِي عبرَ مَتَاهِي ..
نَملَةٌ أحملها مثـلَ إلَـهِي ..
نَمْلَةٌ تَرْتَدّ بِي نَحْوَ مجَارَاةِ انْتِبَاهي !

* * *

نبّهَ السَّهْـوُ شُرُودِي ..
فَـإِذَا بِي وَاقِفٌ خلْفَ وُجُودِي .!
قَابِعٌ فـوقَ رَوَابِي عُزْلَتِي ..
خَـارِجٌ مِنْ مُهْجَتِي ..
مِرفَقِي مُتَّكِيءٌ فِي شُـرْفَتِي ..
ذِهْنِي يُنَاغِـي ..
وَيَـدِي تَحْمِلُ دنيا .. أيَّ دنيا في دِمَاغِي !؟
ودماغِي .. لم يَجِدْ فِيَّ وُجودا لِفَرَاغِي ..
وَفَـرَاغِي ..
حيـنَ الغَيْتُهُ مِنِّي .. فَهْوَ مِنِّي غَيْـرُ لاغٍ !
آهٍ .. ما أغْرَبَ أمْـرِي .!
آهٍ .. مَا أضْيَـقَ عُمْرِي .!

كُلُّ شَيءٍ صَارَ مِلْكِي ..
يَقِفُ القُدُّوسُ فِي عَدَسَةِ ضَوْئِي ..
فاذا الإِبْدَاعُ فَنٌّ رَائِدُ ..
وإذا الأشياءُ .. شيءٌ وَاحِدُ ..
أَتُرَاهَا فَقَدَتْنِي .. أم تُرَانِي الفَاقِدُ ؟!
فَإِذَا عَقْلِي بِأَلْوَانٍ مِنَ الفَنِّ مُغَشَّى ...
رِيشَةُ اللونِ عَلَيْهَا الأبيضُ الوَرْدِيُّ رُشّ ..
ذلك الفنُّ تَمَشَّى ..
فِي حَنَانِي .. فِي حَنِينِي ..
فِي شَرَايِينِي ..
وَدِينِي ..
كما شَاءَ تَمَشَّى !
فإذا بِي شَارِدُ العُمْقِ مُغَشَّى ..
شَرَدَ اللَّوْنُ انْتِبَاهِي ...
فِي الجمالِ المُتَنَاهِي ...
نَبَّهَتْنِي مِنْ شُرُودِي .!
أَوْجَدَتْ فِيَّ وُجُودِي !
أَوْجَدَتْنِي فِي المَدَى اللاّمُتَنَاهِي .
رِحْلَةٌ فِي سِدْرَةِ الفَنِّ الإلَهِي .

ص. ش.

ندوة حول تآليف الاستاذ محمد مزالي

بقلم : محمد زبونة

أقام نادى الكتاب بمعهد ابن شرف ندوة فكرية حول كتابى الاستاذ محمد مزالى (مواقف) و (وجهات نظر) حضرها المؤلف وكنا أوردنا فى عدد أفريل 1976 فى باب أصداء ملخصا لهذه الندوة • وفى هذا العدد ننشر كلمة الافتتاح القاها الاستاذ محمد زبونة مدير معهد ابن شرف ودراسة الاستاذ محمد النابلى حول مسؤولية الكاتب من خلال آثار محمد مزالى ، على أن ننشر فى الاعداد المقبلة بقية الدراسات :

حضرات الضيوف سيداتي وسادتي :

انه لمن دواعى الفخر والاعتزاز ان يتفضل بقبول دعوة الاشراف على احتفال المعهد بالذكرى العشرين لعيد الاستقلال احد ابناء تونس البررة الذى لا يزال يناضل فى سبيل اعلاء كلمة الحق واحلال الاصالة محل الزيف والذود عن القيم الانسانية واستكناه المغامرة الفكرية الكبرى التى توجت باثبات كياننا وتدعيم مفهوم المعاصرة ومقومات ذاتيتنا والاصداع بالمدلول الصحيح للمفاهيم والتصدى بكل صدق واخلاق وشجاعة لكل من خامرته نية طمس معالمها والعمل على اجلائها للشباب فى مظهر يتنافى والامانة التاريخية •

ان نادى الكتاب المتفرع عن الشبيبة المدرسية بالمعهد اذ يستقبل هذا المساء على منبره الاستاذ محمد مزالى عضو الديوان السياسى ووزير الصحة العمومية والمفكر المناضل الذى يلتئم هذا الجمع الكريم حول مناقشة ما صدر له مؤخرا فى مجال الدراسة الفكرية والادبية واشير على وجه الخصوص الى كتابيه : دراسات ووجهات نظر ، لفخور لهذه اللفتة السامية التى لا تنطوى الا على التشجيع المطلق النزيه الكل من يعتز بانتسابه لاسرة الفكر والقلم • لذا اسمحوا لى بان اتقدم اليه باسمكم جميعا باخلص عبارات الشكر والتقدير •

وان خير ما يكرم به رجل الفكر وجود جمهور غفيـر من القـراء المنكبين على اثاره درسا وتحليلا ونقدا وتقييما • ولقد حرصنا فى هذا المجال على تركيز خلية بحث وتفكير من خلال نادى الكتاب تعنى بدراسة الانتاج التونسـى والالمام بمختلف القضايا الفكرية التى يتصدى الادباء لمعالجتها وتتبع مسيرة الادب التونسى على وجه الخصوص فى شتى الاتجاهات وذلك رغبة منا فى تمكين هواة الادب من تلامذتنا من تجاوز نطاق الدروس الى مجال التفكير فى جملة من القضايا المصيرية والمشاغل والاهتمامات من خلال الدراسة والنقد.

حضرات السيدات والسادة

لست فى حاجة الى التذكير بان الاستاذ محمد مزالى ممن صمد فى النضال طوال عشرين سنة او ما يزيد على الواجهتين السياسية والفكرية حيث ان المسؤوليات الحكومية السامية التى يضطلع بها منذ فجر الاستقلال لم تحد من مواصلته النضال على الواجهة الفكرية اذ علاوة على صمود مجلة الفكر التى شرف تونس والعالم العربى باسره بتاسيسها منذ احدى وعشرين سنـة ما انفك الاستاذ محمد مزالى يثرى المكتبة التونسية بنفيس الانتاج تاليـفـا وترجمة • فمن كتاب الديمقراطية الذى ننتظر طبعته الجديدة ، حيث يرجع عهد نشره الى سنة 1955 • الى تاريخ شمال افريقيا 1968 لشـارل انـدرى جوليان بمعية الاستاذ البشير بن سلامة • الى من وحـى الفكـر 1969 • الى كتاب : المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسى لشارل أندرى جوليان بمعية البشير بن سلامة سنة 1971 • ثم مواقف 1973 • فدراسات 1974 • ووجهات نظر 1975 •

وراينا ان ينطلق الحوار فى هذه الامسية مما صدر مؤخرا للاستاذ مزالى « دراسات ووجهات نظر » ذلك ان هذين الكتابين يكملان فى الواقع كتابى مواقف ومن وحى الفكر حيث ان«دراسات»تضمن جملة من المقالات والمحاضرات والاستجوابات الصحافية بوبها الكاتب فى اربعة عناصر تناول العنصر الاول: الشؤون الثقافية والتربوية • وتناول العنصر الثانى المسائـل الاجتماعية ثم خصص لشؤون الشباب الباب الثالث وختم الكتاب بدراستين حول المناضل المرحوم على البلهوان •

اما وجهات نظر فقد احتوى على المجموعة الثانية من افتتاحيات الفكر عالج فيها الاديب شتى القضايا المستوحاة من ملابسات الحياة القومية او مشاغل الراى العام العالمى وقد جمعنا حول مائدة النقاش ثلة من اساتذة المعهد هم السادة محمد النابلى عبد العزيز الهاتى الحبيب المرزوقى ورفيق بن حمودة • ولئن اقتصرنا على هؤلاء الاساتذة فذلك لضيق الوقت لان النقاش متواصل

فى مجموعات ٠ كما اردنا ان نشرك فى هذا النقاش بعض رواد نادى الكتاب من تلامذة السنوات الختامية بالمعهد ٠

حضرات السادة ان المتأمل الدارس لانتاج الاستاذ محمد مزالى يقف عند جملة من القضايا المحورية التى وقف منها المؤلف موقفا واضحا صريحا مما يستنتج معه ان الادب لدى الاستاذ مزالى اصبح اداة نضال فى سبيل خدمة الغير ونصرة الانسانية التائقة الى مجتمع افضل ٠ نضال من اجل تقييم النفس ومراجعتها باستمرار بحثا عن الجذور الحضارية ومقومات الذاتية القومية نضال من عدم الفصل بين الفكر والعمل ٠

وفى هذا النطاق وفى خضم معركة المصير التى اصبح الانسان يواجه فيها شتى التحديات سواء على صعيد المذاهب والاديولوجيات المتجسمة فى جبروت المادة وعنجهية التقنية والتكنلوجيا تأكد تجديد النظرة « لمفهوم الثقافة » ورسالة رجال الفكر وحملة القلم حيث ان زمن «البرعاجية» والانقطاع الى التأمل الذاتى ولى وانقضى وحل محله «عمل مخبرى» طويل متواصل مضن فى غالب الاحيان لاستكشاف الداء وتشخيصه لايجاد الحلول الملائمة له لذا فقد اصبح من اوكد واجبات المثقف ربط مصيره بمصير امته وتحمل مسؤولية الاصداع بكلمة الحق والكشف عن كلمات الحق التى اريد بها باطل ٠ وان اول قضية تواجهنا من خلال انتاج الاستاذ محمد مزالى قضية مسؤولية المثقف وتجعل أول سؤال يتبادر الى الذهن هو : هل المثقف مسؤول امام نفسه وامام أمته وامام كل انسان ؟

هل تفعل الكلمة المكتوبة فعلها فى المحيط والافراد والمجموعات فيفتعل المحيط وتنفعل الافراد والمجموعات ، كيف يتجسم ذلك من خلال انتاج الاستاذ محمد مزالى ؟

هذا ما تكفل بابرازه الاستاذ محمد النابلى ٠ ولقد ذكرنى عند اشارته الى ما سماه بجوهر العقل المفارق للحدود الزمانية والمكانية والتاريخية بابن سينا فى تحليله للنفس المفارقة للجسد وكذلك بالصوفية ٠ فلعل الاستاذ يقصد هنا مفهوم التجاوز Transcendance ، تجاوز العقل للابعاد الزمانية والمكانية وهنا لست على اتفاق تام معه فى هذا التأويل اذ ان ما تلاحظه فى دراسات الاستاذ مزالى من تقديس للعقل وتنزيله فى أسمى مرتبة ودعوته الى اعمال الرأى فى مختلف المذاهب والتيارات الفكرية انما يرجع كل ذلك الى ايمانه بالجدلية المتمثلة فى تسليط العقل على الواقع ثم فهم الواقع ، ثم تعديل النظرية بالواقع ، ثم تسليط العقل من جديد على الواقع وهكذا دواليك بدون راحة ولا هوادة ٠ وفى منهجية البحث هذه تتأكد صلة العقل الفاحص

الكاشف المحلل بالبعد الزمني والتاريخي الذى يحف بجوهر القضية بالرجوع الى الواقع والمحيط الذى يعيش فيه المفكر • وهو السلاح الذى يعتصم بـه لمقاومة جبروت الانغلاق المذهبى وجاهز العقيدة وقد وضح ذلك فى كتـاب مواقف بقـولـه :

« والمذهب الذى نادينا المثقفين بالعمل على تبينه وتحديده منذ العدد الاول من مجلة « الفكر » هو فى الواقع اجتناب التمذهب المطلق المنغلق على نفسه ، هو دعوة متواصلةللاجتهاد الجسور والتفكير الفاتح وايثار العقلالعاقلعلىالعقل المعقول » ص 220 مواقف • الا ان العقل الذى يدعو المفكر يعجز على حد قول المؤلف عن الاجابة عن الاسئلة التى لا يزال الانسان يلقيها على نفسه • وقـد اهتدى المؤلف الى المسلك الذى قد ينجى الانسان من الانتحار الفكـرى هـو الرجوع الى اصالته وبحثه عن قيمه العليا وتحسس مواطن القوة من تـراثه لاستكشاف ذاتيته والنضال بكل اعتزاز لبناء حضارته • الى اى حد تجسمت هذه الظاهرة فى دراسات الاستاذ مزالى ؟

لقـد بيـن هـذه الظاهـرة الاستـاذ رفيـق بـن حمـودة وكأنـى بـه فى تحليلـه لمفهـوم الاصـالـة ووضعـه فـى اطـار البنـاء الحضـارى كمـا ورد فى دراسات الاستاذ مزالى يشير الى قضية التراث هذه القضية التـى اصبحت اليوم محور النقاش فى الاوساط الثقافية فى العالم العربى على وجه الخصوص • وقد تباينت المواقف واختلفت الاراء حول مفهوم التـراث باسم الثورية تارة والوحدوية تارة اخرى والعقلانية والهيكلية ولا يسمح المجال لاستعراض قائمة المذاهب التى تنشد الاسبقية لايجاد مخرج للازمة الحضارية التى تمر بها اليوم الامة العربية فكيف السبيل الى التوفيق بين المعاصرة والتراث ؟ وهل يتعين فى هذا السياق تقييم التراث قبل احيائه ام الحفاظ على كل التراث وترجمته الى لغة العصر ؟ المتمثل فى انتاج الاستاذ محمد مزالى يدرك موقفه من هذه القضية حيث يعتبر التراث الارضية الثقافية التى ينطلق منها للخلق والابداعوالبناء الحضارى وقد وضح هذه الناحية الاستاذ عبدالعزيز الهانى ثم ينتهى بنا البحث الى الوقوف عند الخصائص التعبيريـة ومنهجيـة التحليل عند المؤلف ومما تجدر اليه الاشارة فى هذا المجال تعـدد المصـادر الفكرية المستند اليها وتنوعها حيث نجد فى نفس الوقت تأثـرا بالـغـزالى والفلسفية اليونانية كما نلمس تجاوبا واضحا بين المؤلف وبين ديكـارت فى نظريته المثالية وايمانويل كانت فى كتابه نقد العقل المجرد وقد تناول هـذا الجانب بالبحث والتحليل الاستاذ محمد الحبيب المرزوقى •

م• ق•

مسؤولية المثقف

بقلم : محمد النابلي

مقدمة فى منهج القراءة :

نعتقد منهجا انه لا يمكن النظر الى آثار مفكر او اديب او اى «فرد» ما لم نربط بين ما الف المؤلف واخرج الى الناس فى مستويات متعددة .

أ ــ بين اجزاء الاثر باعتباره يمثل وحدة .

ب ــ بين ذلك الاثر وصاحبه .

ج ــ بين ذلك ومجموع ما انتجته الظروف والملابسات فى وقت تاريخى ما (ذلك ان الفرد ــ وقد صار هذا من تحصيل الحاصل لا يمكنه ان يصنع قيمه بمفرده . ويكون ما الف محاولة منه لبلورة بعض القضايا بلورة تختلف بحسب الاسلوب المعتمد : مقالة / خطبة / مسرحية ...)

ويجد كل ذلك تفسيره ضمن الاطار الفكرى الذى فيه يتحرك وهو الذى يعطيه انسجامه ومعناه .

ولهذه الاسباب يتحتم علينا ، ونحن نقرأ ما انتج الاستاذ مزالى ــ ان نربط دائما بين الاجزاء : (لان الاستاذ لا يقدم لنا رؤية شاملة متكاملة ولم يكن ذلك قصده) وان نرجعها الى ما يمكن من العناصر المحددة لرؤية كلية للامور (ان وجدت) .

ونظرا لما سبق فاننا بهذه « الكلمة » لا ندعى تقديم دراسة فى (دراسات) ولا موقفا من : (مواقف) ، انما غرضنا كان ان نتامل فيها بحثا عن المشاغل الاساسية وما يمكن ان ترجع اليه من مستندات فكرية وفلسفية عقائدية قد تضىء لمن يريد ان يفهم تلك المواقف الاسباب الداعية الى اتخاذها فخرجنا الى اعتبار الكتب مساهمة ــ على حد تعبير الاستاذ ــ فى تغذية الحوار الفكرى المتواصل بين كل من ينظر للثقافة نظرة جد .

(فكان غرضنا فتح باب الحوار فى بعض المحاور الاساسية التى تتضمنها الكتب المذكورة) واحدها مفهوم مسؤولية المثقف والتزامه القضايا الجوهرية

المطروحة امامه على كل المستويات ـ ولا يسعنا فى هذا المجال الضيق الا ان ننظر فى عجالة الى جملة من الافكار تتعلق بـ :

أ ـ صفات المثقف المسؤول ودوره ٠

ب ـ وسيلته فى ذلك ٠

ج ـ الى اى مدى تجسد تلك الاثار صفات مثقف مسؤول وان كان مضمون الدعوة التى ترمى اليها كتب الاستاذ مزالى هو هذا الشعور بالمسؤولية من المؤلف بدءا ومن القارىء غاية ٠

ان المفكر المسؤول يجب ان ينظر الى ما حوله ويقارن « دراسات ص 237 » ونعتقد ان هذا هو احد وجهى النشاط لدى المثقف : تعميق وعيه بالحاضر ودراسته ومعاناته المشاكل المطروحة والشعور بالمسؤولية ازاءهـا **قولا وفعلا** وهذه هى الصفات الكبرى التى يظهر انها تبدو من خلال آثار الاستاذ ٠

فالمثقف بحكم رؤيته النافذة نسبيا لابد ان يكون دائم الفزع لكل ما قد يمس مبدأه ، فهو يناضل من اجل تحقيقه تحمل فى ذلك ما تحمل من مرارة الصراع ، صراع حتمه عليه اخلاصه لذلك المبدأ وقد اكد هذا المعنى الاستاذ مزالى فى مقدمة مؤلفه « وجهات نظر » حيث يقول : « ان المثقف الحق يعيش من اجل المبدأ ويصمد فى النضال لاعلاء ما يراه حقا وخيرا ويستمد طول النفس من الامل الذى يغمر وجدانه والايمان الذى يملا حياته ٠ »

من هذا المفهوم ندرك تماما ما « للكلمة » من اثر فى الفعل والتحريك ٠ فالكلمة هى سلاح المثقف وهى موقف والموقف هو الفعل والفعل هو تجسيد للمسؤولية ، وهكذا تكون الكلمة عنادا ومعاندة وصراعا ومصارعة ولا تقدر ان تكون كذلك الا اذا كانت تحمـل من **الطاقة التحويلية** مـا يصيـر الفـاسد نافعا والمعوج قويما ولعل فى مؤلفات الاستاذ ما يعطى صورة واضحة لهذا الدور الخطير الذى تلعبه الكلمة الملتزمة المسؤولة فقد سلط الاستاذ مزالى الضوء على النظرة الى العلم وتقدمه حيث أبان ان جوهـر التقـدم العلمـى لا يكمن فيما ابتدعه الانسان من مخترعات بقـدر ما يكمـن فى توجيـه هـذه المخترعات الى نبيل غاية هى الانسان ـ اجل فمن منا ينكر قدرة الانسان على تحدى الطبيعة ، لكن اذا قهر الانسان بالعلم الطبيعة فهل يمكن له قهر نفسه بمخترعه ـ كلا ـ فلا يقهر الانسان نفسه بل هو المسؤول عن مصيره وهذا ما جاء فى (وجهات نظر) حيث يقول الاستاذ : « وان العلم ليس خيرا او شرا فى

حد ذاته وانه ليس قيمة اخلاقية بل هو وضوح رؤية ، وانه فى آخر الامر لا يخدم صالح الانسان الا بقدر ما يريد ذلك الانسان ذاته » .

وكاني بالاستاذ مزالى ، وقد عرج على مفهوم العلم ، الذى استطاع به الانسان ادراك القمر ، يتساءل عن مشاكل الانسان فى الارض : هل وقع التفكير فيها قبل تجاوزها الى مشاكل السماء ؟ ونفهم هذا التساؤل مما خطه الاستاذ فى وجهات نظر عن عملية (أبولو) : « ولو فرضنا ان عملية أبولو لم تنجز وان الاعتمادات الضخمة لم ترصد للبحث العلمى ـ النظرى والتطبيقى ـ فى شؤون الفضاء ـ فهل نحن واثقون من انها كانت تنفق فى سبيل مقاومة الفقر والقضاء على الامية والاخذ بيد الشعوب المستضعفة ؟ لا اعتقد ذلك » .

لا أعتقد ذلك : اجابة مقتنع بان العلم ما زال فى تعميق ارادة التفوق وانه دائما فى خدمة ايديولوجية معينة . ونعتقد ان هذا الموقف من العلم موقف واع ويمكن ان نجد هذا الوعى والالتزام فى الوقوف من قضية كقضية الشعب الفلسطينى فقد ازاح الاستاذ الستار عن هذه المظلمة فكان دوره دور من يحلل ويفضح ويشهر وفى هذا الصدد يقول الاستاذ مزالى مبرزا دور المثقف الملتزم فى نفس المصدر : « ان اكبر سلاح نملكه ـ نحن المثقفين ـ انما هو الحقيقة . فلنفضح الجوهر الصهيونى امام الرأى العام ولنكشف عن سوءاته ولنبرز مغالطاته وبهتانه » وواضح ان هذا الموقف يصدر عن احساس عميق بالمسؤولية .

وبعد تحليل هذه الجملة من النقاط (المعبرة عن موقف) نخلص الى جملة اخرى من القضايا والمقولات منها مقولة الانسان ، والعقل فى عملية المعرفة ، والعلم والتكنولوجيا .

لئن بدا فى المقالات اشارة الى الحدس الغزالى باعتباره وسيلة من وسائل المعرفة ، فان الاستاذ يؤكد على مقولتين من المقولات الفلسفية هما «الانسان» ـ وعديد من المقالات تحمل الكلمة لا فائدة من تعديدها ، وعلى مقولة فلسفية اخرى هى « العقل » ، بصدد تحليل وضع العرب والعالم بصفة عامة . الحق ان بعض العرب لم يستشرفوا مستوى العقل ، ولم يصلوا الى درجة العقلية الوضعية (Positiviste) او فى سياق حديث عن العالم العربى : (وهو تبع لذلك لا يزال متأثرا بالكلمة ، مأخوذا بسحرها مستعيضا ببهرجها وبريقها عن واقع الاشياء وحقيقة الامور (دراسات 245) .

وامام هاتين المقولتين لا يتسنى لنا الا ان نرجعهما الى الحضارة الاوروبية بالمفهوم الذى صار يعرف باسم الانسية البورجوازية Humanisme Bourgeois وهذا هو المصطلح المعروف . فى مرحلة ما تطور الفكر الذى هو حتميا مرتبط بتطور الاساس المادى فى الحياة وتطور العلوم .

أو قوله إن الواجب يدعو إلى الايمان بسيطرة العقل للحكم على كل المذاهب والكتب وكل ما قاله السلف ويقوله الغير . « ان العقل يجب ان يتخلص من كل انواع السيطرة ويتحرر من كل القيود الفكرية والمذهبية مهما كانت » . (دراسات 250) ونعتقد ان رأيا مثل هذا ـ رغم ايجابيته فى الرفع من شأن العقل امام كل ما هو ذهنية غيبية غارقة فى الماورائيات ـ يجعل العقل جوهرا مفارقا خارجا عن حدود الزمان والمكان وهو أمر لا يمكننا ان نقبله فلسفيا ، لان خروج العقل عن الزمان والمكان وعن التاريخ ، امر غير وارد اطلاقا .

اما المقولة الاخرى المعتمدة والتابعة لهذه الدعوة العقلية فهى مقولة « العلم والتكنولوجيا » وهى فى راينا مقولة ايديولوجية ظهرت فى اوروبا فى العصر الحاضر فى نوع من المجتمعات اصبح فيه الحكم للمهندسين وهى تمثل وجها من اوجه الصراع فى اوروبا يغلف باسم العلم والتكنولوجيا ليظهر بمظهر العلم اى انتفاء الذاتية والظهور بمظهر الموضوعية .

وهنا نتساءل ايضا عن جدوى الكلمة والكلام بصفة عامة ، فلئن كانت لها فاعلية هى فاعلية التوعية فهى تبقى ـ ان بقيت كلمة قاصرة ، والتغيير ينبغى ان يتم لا بالقول ولكن بالفعل .

ونعتقد فى نهاية الامر ان الحكم فى شان آثار الاستاذ مزالى ليس من مشمولاتنا بل من مشمولات التاريخ . ٪

م. ن.

الى عينيها ....

شعر : الشاذلي زوكار

عيناك .. غابتا صنوبر
ومنبعا ضياء ..
وجدولان غارقان فى عبير
ورفتا فراشة تطير

●

عيناك فيهما ربيع
بزهره .. ولونه البديع
وألفا ليلة وليله
وكتلة أيام ...
تموجت كأنها البحار
لكنها ضاعت بلا رجوع
وبقيت هناك ... خالده
هناك فى عينيك ..

يا حبيبتى

كأنها شموع ..
تضىء فى المساء
تعيد صورا كأنها الفسيفساء
نسقها الرومان فى معابد التاريخ
تعيد عقربى ساعتى للوراء
فاسبح على جناح طائر غريب
يحملنى من داخل عينيك
يطوف بى مع الزمان والمكان ..
مع الرياح والسكون ..
مع الشموع وهى تحترق
مع الكؤوس وهى تندلق
مع السنونو فى رحلتها الطويله
مع الربيع .. والخريف .. والشتاء
مع الحرارة فى الصيف ..

●

عيناك يا حبيبتى ...
عيناك لحن صامت ..
يدعو الى الصلاة والخشوع
ويحمل السلام
ويطلق سربا من الحمام
وينقل الدفء الى القلوب
ويمسح الدموع
يمسحها لتستعيض بابتسام

●

عيناك يا حبيبتى .. نافذتان
أطل منهما على الزمان والمكان
عيناك مملكه .. وصولجان
ومنبعا حنان
عيناك يا حبيبتى ..
عيناك فيهما أنا
وفيهما الشعاع والمنى
وفيهما الحياة ... والخلود ...

ش . ز .

الفضيحة

قصة ، بقلم : العربى بنتركة

(المغرب الاقصى)

— II —

④

لا أكتمكم الحقيقة ٠٠ لقد أصبحت عشيقة أحمد ٠ أعذرونى فلست خجلى وأنا أقول عشيقة أحمد ٠٠ لست أدرى كيف حدث هـذا بالتدريـج ٠٠ فقد خرجت بدورى عن إرادتى وكنت أحس بنشوة وهو يتلمسنى فى هـدوء ٠٠ ثم وهو يضمنى إليه ٠٠ يضغط على صدرى مرة برفق وأخرى بعنف ، ويلصق شفتيه بشفتى ٠٠ وتجاوز به جنونه هذا الحد ٠٠ فصار يطمع فى أكثر من اللمس والتقبيل والضغط على صدرى وذراعى ٠٠ ولكنى كنت أصر فى منعـه كلما حاول تجاوز ذلك الحد ٠

● ومع مرور الأيام ٠٠ أو الليالى ٠٠ ضاع منى اصـرارى وعنـادى ٠٠ وضاعت مقاومتى ٠٠ فاضحيت مثل أحمد أرغب ٠٠ بل لا أمانع فـى اجتيـاز حدود اللمس والتقبيل ٠٠ أضحيت فريسة أنوثتى ٠٠ أرغب فى شىء أكبر من الذى آخذه من أحمد ٠٠ شقيقى أحمد ٠٠ عفوا ٠٠ عشيقى أحمد ٠٠ ان ثـورة عارمة تشتعل فى أعماقى فيمتد لهيبها من الداخل الى الخارج ثم من الخـارج الى الداخل ٠٠ ثورة تعلنها أنوثتى ويستطيبها أحمد ٠٠

ومن هنا كان لا بد أن تحتضننا الخطيئة ٠٠ الخطيئة التى لها ألف وجه ٠٠ والتى اندفعنا اليها فى الظلام الدامس من غير مقاومـة أو رفـض ٠٠ أو علـى الأقل ، من غير استمرار فى المقاومة والرفض ٠٠ حدث لنا تماما كما يحدث لأى لص بدائى فهو لا يندفع نحو السرقة الا بعد تردد وخوف شديدين ولكنه فـى النهاية يندفع ليسرق شيئا يحس بحاجة اليه ٠٠ فيسرق دون أن يفكـر بعـد ذلك فى العاقبة أو النتيجة التى قد يجنيها فى نهاية المطـاف ٠٠ فلا يلبـث أن يقع فيما لا تحمد عقباه ٠٠

● كنت في ذلك الوقت قد أصبحت فتاة مثيرة ولا أقول جميلة ·· كانت ثمة أعين قد بدأت تلتصق بى وتتتبع خطواتى وتتعلق بصدرى البارز وساقى الملفوفتين وخصرى المغرى الذى يتثنى فى خفر وغنج ··

اسمحوا لى ·· لقد تعلمت سرد مثل هذه الأوصاف من الرسائل التى كنت أغرق فيها والتى كانت تصلنى يوميا بالعشرات ·· ولعلكم تعرفون ان شبابنا متفنن فى كتابة تلك الرسائل التى يسمونها برسائل الحب والغرام وان كانت فى حقيقتها سخيفة وساذجة ·· ومع ذلك ·· كنت كأى فتاة مراهقة أحبها وأهتم بها أشد ما يكون الاهتمام ·· وكنت أقرأها مرات عديدة فى اليوم الواحد ·· بل فى الساعة الواحدة ، وكنت أحفظ جملها وكلماتها عن ظهر قلب ·· ثم بعد ذلك أعنى بالاحتفاظ بها وبنقلها من مكان الى مكان خوفا عليها من الوقوع فى يد من يقسو عليها ويعرضها للضياع ·· كنت أحس أنها نصف حياتى ·

● صدقونى ·· لقد أصبحت أحب أحمد ·· نعم ، أحبه غير حب الاخت لأخيها ·· غير هذا الحب الجاف الذى لا نحسه ولا يتحرك فينا قويا الا عندما نكون بعيدين بعضنا عن بعض ·· بل أحببته بكل جوارحى ·· أحببته كما يمكن أن تحب أى فتاة فارس أحلامها عندما تصل اليه وعندما يتحول الى حقيقة حلوة تملأ حياتها ودنياها ·· أحببته ذلك الحب القوى الذى يسيطر على عواطفنا وأفكارنا فيتحول فى داخلنا الى مشاعر تغلى وتتحكم فى أعصابنا وكل تصرفاتنا وتطغى على تفكيرنا ··

لم أعد أخشى أن يفتضح سرنا اللذيذ لغير عيون الظلام ·· كنت أعتقد أننى سوف لا أعبأ إن أكثرت لو أن ذلك حدث ·· لو أن سرنا اكتشفه غيرنا مهما كان ذلك الغير ·· ربما كان ذلك مجرد شعور اندفاعى ·· مجرد تفكير ساذج ·· ربما ·· على أن لكل واحد منكم أن يشرح ذلك بالطريقة التى تحلو له وكما يشاء ·· أما أنا ·· وان كان الامر يهمنى قبل غيرى ، فانى لست أعرف حتى الآن كيف أعلل تلك الظاهرة أو أحللها ·· وقد يرجع ذلك الى أنى لا أهتم الآن بالعودة الى تلك الحقبة الكالحة من حياتى بكل حواسى ··

● شغلنى حبى لأحمد عن الاهتمام بكل ما يدور حولى ·· بقدر ما شغلنى عن إعارة بعض انتباهى لنظرات الاعجاب التى كانت تطاردنى من كل ناحية ·· وفى كل ناحية وكلمات الاثارة التى كانت تتردد حولى ·· وعروض الاغراء التى كانت تتكاثر من أجلى كل غدو ورواح ··

وكان ثمة شخص قد بدأ فعلا يلفت نظرى اليه نسبيا ٠٠ والسبب فى ذلك راجع الى تشجيع بعض صديقاتى اللواتى كن يهمسن فى أذنى :

ـ انه جميل ٠٠ وجذاب ٠٠ وأنيق ٠٠أياك أن يفلت من يدك ٠٠

ولعلكم تعرفون أننا معشر الفتيات ٠٠ ضحية بعضنا البعض ٠٠

● كان يملك سيارة ٠٠ ولسانا يقطر عسلا ٠٠ كل كلمة يتفوه بها تعصر قلبى وتنتزع ابتسامة صافية من ثغرى شئت ذلك أم أبيت ٠٠

وكان بالفعل وسيما وجذابا فى شكله ومنظره ٠٠ ومع أنى كنت متحفظة ٠٠ أتظاهر باللامبالاة واللا اهتمام ، فقد كنت أحس بميل اليه ٠٠ كنت أخشى أن يضيع منى ٠٠ أن أفقده بعد مطارداته لى اللامجدية ٠٠ وكنت أحس أن كل ما يملك من سيارة وأناقة مفرطة ووسامة وذكاء وحديث ناعم ٠٠ انما يملكه لـى وليس له وحده ٠٠

⑤

● نسيت أن أقول لكم ان والدى تخلى عن اهتمامه بى ٠٠ وكأنما أسقطنى من حسابه الى الأبد ٠٠ ربما شغلته زوجته الجديدة ٠٠ والعلاقة الجديدة بين شخصين لا بد لها من وقت حتى تصير عادية وروتينية ٠٠ سرنى ذلك بـادىء الأمر ٠٠ ولكن سرعان ما انعكست الآية ٠٠ انه لم يعد يحفل بى بالمرة كأن أمرى لا يهمه ٠٠ كأنه قبرنى مع جثة والدتى ٠٠ لقد طردنى من بـاله ومخيلتـه ٠٠ أضحيت بالنسبة اليه مجرد شىء تافه وسخيف بلا قيمة ولا كيان ٠٠ شىء لا يستحق حتى الاحتقار ٠٠

تصوروا أن أبى نسى حتى اسمى فلم يعد ينطق به ٠٠ تصوروا أنه لم يعد يمد يده الغليظة الخشنة الى محفظتى ليفتشها ثم يلقى بكل ما تحتوى عليه كما كان يفعل من قبل ٠٠ تصوروا أنه لم يعد يحمل لى فى يديه بدلـة أو نعـلا أو منديلا عندما يبتاع شيئا من ذلك لاختى وزوجته الشابة ٠٠ الا بعد اصرار من هذه الاخيرة وقد يتكرر اصرارها عشرات المرات دون فائدة ٠٠

● كنت أشعر وأنا أفكر بالموضوع ٠٠ بنوع من الغبطة والسـرور رغـم احساسى المطلق بأنى صرت شيئا تافها بالبيت ٠٠ كنت أتذكر كم تمنيت فـى الماضى أن ينسانى أبى ويتركنى وشأنى ٠٠ والآن ٠٠ الآن وقـد تحقـق لى ذلك ، أدركت أن لا فرق بين القسوة والاهمال ٠٠

● جاء الليل٠٠واحتوانا الظلام شقيقين عاشقين فى حجرة واحدة مكبوتة الأنفاس تضم معنا أخوين لا علم لهما بما يدور حولهما فى الخفاء ٠٠

انقضى معظم الليل ٠٠ وأحمد لم يتحرك من مكانه ٠٠ لم يعبل على كعادته ٠٠ عذبنى انتظاره ٠٠ كنت انتظر أن تمتد الى يده ٠٠ أن يلتصق جسمه بجسدى فتنغرس شفتاه فى شفتى ٠٠ غير ان ذلك لم يحدث ٠٠ كنت أسمع أنفاسه تتصاعد تقطع استمرارها تنهدات بين الحين والحين ٠٠ كان يتلوى فى فراشه وكأن به حمى أو مسا من الألم ٠٠

وتحولت من مكانى فى حذر شديد حتى التصقت بجسمه الساخن وكان تحته زوبعة نار ٠٠ وسألته بصوت مهموس :

ـ ماذا بك يا أحمد ٠٠

ولم يرد ٠٠ ضمنى بكلتا يديه وأسكت صوتى بقبلة طويلة وعنيفة هى أول قبلة من نوعها ٠٠

● ومن ليلتها بدأت أحس أن شيئا غير عادى يجرى فى حياته ٠٠ شىء ما لا يعرفه غيره ٠٠ شىء أثر على أفكاره وعواطفه ٠٠

ولأل مرة شعرت بالغيرة التى سمعت عنها الكثير ٠٠ أحسست بأنى أغير على أحمد٠٠ شقيقى وعشيقى مخافة أن تسلب لبه فتاة غيرى٠٠فتاة قد يكون نصيبها من الجمال غير نصيبى وحظها فيه أكبر من حظى ٠٠ فتاة قد يكون من حقها أن تحبه وتستميله فتضع يدها فى يده أمام أعين الناس ٠٠ كل الناس ٠٠

وكم كانت الصدمة عنيفة وقاسية على قلبى وعقلى عندما اكتشفت ان تلك الانسانة التى سلبت لبه وقيدت شعوره وسرقته حتى من نفسه هى زوجة أبى ٠٠

⑥

● كم نكون جبناء وسخفاء عندما نفكر أو نلجأ الى حل نسميه انتقاما ٠٠ فهل يستطيع الانسان أن ينتقم من غيره قبل الانتقام من نفسه ؟! هذا ما حدث لى ٠٠ فكرت فى الانتقام من أحمد ٠٠ أردت أن أصدمه مثلما صدمنى فأحسست بسكين من الألم يذبح شعورى ويمزق قلبى ثم ينغرس فى رأسى ٠٠ أردت أن انتقم لنفسى منه عل ذلك يجعل الحسرة والألم والندم يقلق راحته ويستولى على أفكاره وحواسه ٠٠

ما أقساها سخرية ٠٠ هذه الأفكار السخيفة كانت يومذاك أفكارى وكنت أدافع عنها بل كنت مؤمنة بها ايمانا لا يرقى شك اليه ٠٠ من كان يومها ينصحنى ؟ من كان يقول لى انها افكار ساذجة ولا معقولة ؟ من كان يوضح لى معالم الطريق فأحيد عن فكرة الانتقام من أحمد لأنها انتقام من نفسى ؟

هل يكون أحمد نفسه الذى صار يشبع غريزته العاطفية والجنسية مع زوجة والده الشابة دون وخز الضمير ودونما شعور بالعار ٠٠

الآن فقط أصبحت أعرف العار والضمير وحدود كل شىء ٠٠ لأنى فقدت كل شىء حتى ثقتى بنفسى ٠٠ لم يعد فى حوزتى غير ما خلفه لى أحمد من حيرة وحسرة وندم وتنهدات عميقة ٠٠

● عندما قررت الانتقام من أحمد كان صاحب السيارة الفاخرة ٠٠ والمظهر الأنيق ٠٠ واللسان المعسول ، أول صورة قفزت الى ذهنى وتشخصت أمامى ٠٠ ولم يكن الشخص هذا حسب تفكيرى آنذاك صعب المنال ٠٠ بل كان فى متناول يدى ٠٠ فقد يصبح أسيرى بمجرد اشارة واحدة ٠٠ بمجرد أن أرد عليه بكلمة وهو يعاكسنى عندما أكون ذاهبة أو عائدة ، من البيت الى المدرسة أو من المدرسة للبيت ٠٠

وبما أننى كنت هدفه وغايته منذ أيام ، فقد كنت واثقة من أنه سيعترض طريقى هذا المساء لدى عودتى من المدرسة ٠٠ وفعلا ٠٠ لم أكد أخترق زحام التلميذات لآخذ طريقى فى اتجاه البيت حتى زفت الى نظراتى الزائغة سيارته الفخمة وقد وقف هو الى جانبها يستعرض أفواج التلميذات وبين شفتيه سيجارة تحترق ٠٠

تظاهرت بعدم المبالاة كما هى عادتى عندما أمر به فى غير اهتمام ٠٠ أو بعبارة أفصح ٠٠ متصنعة عدم الاهتمام به ٠٠ وكأنى قادرة على مقاومة مطارداته واغراءاته الى الابد ٠٠

ـ مساء الخير على الأقل يا قليلة الأدب

هكذا قال وأنا أمر بجانبه ٠٠ ثم ابتسم قبل أن يفتح باب سيارته التى صعد اليها شأنه كلما مررت به قبل أن يقتفى أثرى بسيارته يتصيد فرصة معاكستى والوقوف فى طريقى ٠٠

سبقني الى المنعطف القريب ثم أوقف سيارته من جديد واعترض طريقي ٠٠ فقلت مع نفسي انها فرصة مواتية ٠٠ ربما كان هو الآخر قد صمم عزمه على أن تكون هذه المرة آخر مرة يعاكسني فيها ويعترض خلالها سبيلي فاما أن أستجيب له والا حول اتجاهه ٠٠

ذلك أنه استوقفني وقد شد بقبضة يده على ذراعي ثم قال :

ـ كلمة ٠٠ أريد منك كلمة واحدة ٠٠ اما معي واما ضدي ٠٠

وقفت انظر اليه وانا أضم محفظتي الى صدري بيدي معا وقد ارتسمت على شفتي ابتسامة لا معنى لها

ـ اني مصغية اليك قل ما تشاء ٠٠
ـ كفاك عنادا
ـ ماذا تريد ؟
ـ أريدك أنت ٠٠
ـ انك تمزح
ـ خاب فالك يا آنسة ٠٠ اني أبحث عن التفاهم معك ٠٠
ـ ولماذا اخترت هذه الطريقة ؟
ـ اية طريقة أخرى أختار ؟ ٠٠ إنصحيني اذن

سكت لحظة استدار بعدها صوب سيارته فأشار قائلا

ـ تفضلي ٠٠ سوف نتحاور ونتفاهم
ـ إلى أين ؟
ـ الى داخل سيارة ٠٠ نحتجب عن الأنظار ٠٠
ـ ولماذا ؟
ـ اسمحي لي يا آنسة ٠٠ سؤالك هذا سخيف ٠٠
ـ أليس من حقي أن أسأل
ـ بلى ٠٠ من حقك ذلك ٠٠ ولكن أنا ٠٠ اليس من حقي أن أغير على سمعتنا فأفكر في الهروب من هذه النظرات المتسلطة علينا ؟!

● ولست بعد ذلك ادري كيف اندفعت الى داخل السيارة فوقعت على الكرسي الامامي الى جواره وقد انطلقت بنا السيارة تجوب شوارع المدينة ٠٠

ـ سيارتك جميلة ٠٠
ـ ولكن أجمل منها أنت يا حلوة ٠٠

ـ أنا حلوة ؟ ٠٠

ـ لا أقول غير الحق ٠٠ وهل تكون هذه السيارة جميلة بالفعل اذا لم تكن بها جميلة مثلك ؟!

لم أستوعب كلماته كما يجب ٠٠ اذ لم يكن من الضرورى استيعاب كل ما يقال ، فمن المفروض أن نقول أشياء كثيرة تصدر منا من غير تفكير ٠٠

ـ ما اسمك ؟

هكذا سألته للخروج من الصمت ٠٠

ـ أحمد

وتلفت إليه وكأنى أراه لأول مرة وقد جحظت عيناى وقفزت فكرة الانتقام من جديد الى رأسى

ـ يبدو أن هذا الاسم لم يعجبك يا آنسة ؟!

ـ لا بأس ٠٠ كل الاسماء سواء ٠٠

ـ وأنت ٠٠ ما اسمك ؟

ـ أنا ٠٠ فاطمة ٠٠

ـ لذيذ ٠٠ تشرفت بمعرفتك

توقفت السيارة بنا فجأة أمام عمارة متوسطة ولكنها نقية وجميلة فى شكلها الهندسى

ـ لماذا توقفت هنا ؟

ـ شقتى تأتى بالطابق الثانى من هذه العمارة ٠٠ سوف نستريح بها قليلا ٠٠

ـ أرجوك ٠٠ لست فى حاجة الى راحة ٠٠ يكفى أننى

ـ لا تمتنعى يا فاطمة ٠٠ أتوسل إليك ٠٠ طاوعينى إنى فى حاجة اليك ٠٠ إلى جمالك

ـ هل أنا جميلة فى نظرك ؟

ـ صحيح أن الورد لا يعرف قيمته ٠٠ هل تشكين فيما أنا قائل ؟ إنى لا لا أقول غير ما أحسه وأراه

ـ لا تبالغ يا أحمد ٠٠

تمنيت عندها لو كان اسمه غير أحمد ٠٠

ـ صدقيني يا آنسة إنك الجمال بعينه ‥ هيا ‥ تعالى ‥

ـ دع عنك هذا الى وقت آخر

ـ ليس هناك أجمل من هذا الوقت ‥ ان الحياة فرصة يا فاطمة

ـ أمامنا فرص كثيرة لقد حان وقت عودتى الى البيت ان والدى رجل قاس وحاد فى كل تصرفاته معى ‥ يجب أن أكون بالبيت قبل وصوله

ـ اذن لن استمر فى الحاحى يا عزيزتى

وانطلقت السيارة بنا كأنها محمولة فى الهواء ‥

● منذ ذلك المساء ‥ وعلاقتى به تمتد جذورها الى الاعماق ‥ الى مداخلى ‥ تطورت علاقتنا بسرعة ‥

وهنا يجب أن أقف قليلا حتى أقول لكم انى قرأت مرة لكاتب عربى ليس مهما ذكر اسمه هنا ، عبارة قال فيها :

ـ إن الرجل الذكى هو الذى يستميل المرأة دوما فتحبه حتى ولو تكسر كبرياؤها وأنانيتها على صخر ذكائه ، ان الذكاء ميزة الرجل الذى يسبر أغوار المرأة التى يريدها هو ‥

وتسوقنى هذه العبارة الى الاعتراف لكم بأن أحمد صاحب اللسان المعسول ، كان من هذا النوع من الرجال ‥ لقد كان ذكيا ‥ ربما كان أذكى رجل عرفته فى حياتى فعلمنى أشياء كثيرة على حسابى طبعا ‥

لقد عرف كيف يستغل جبنى وسذاجتى وسخافتى ورغبتى فى الانتقام ‥ عرف كيف يشدنى اليه ويملأ حياتى بالأمانى العذاب ‥ كان يلبى كل طلباتى ورغباتى حتى وان لم أبح بجلها ‥ بل انه كان يسير وفق أسلوبى وميولى ‥ وكان أيضا يترك لى حرية التصرف والقول ‥ كل هذا ولم يكن يتسرع فى طلب أى شىء منى ‥ وماذا عساه يطلب ؟!

وتخيلت أنه يحبنى ‥ يحبنى لأجلى ‥ يحبنى لأنى انسانة من حقى أن أحب وأحب ‥ وكبر تخيلى هذا حتى صرت أعطيه القبلة من غير أن ينتزعها هو منى ‥ واللمسة دون أن يسعى هو اليها ، وجعلنى أحس أن ذلك كله من حقه بل أنا كلى من حقه ‥ وهكذا ‥ أعطيته كل شىء لأنه عرف كيف يأخذ منى كل شىء من غير عناء ‥

وبعدها ٠٠ أصبحت لا شيء في حياته أطرق باب شقته فيتجاهل طرقاتي ويظل الباب مغلقا في وجهي ٠٠ وأعترض طريقه فيمر من أمامي دون أن يوقف سيارته أو يستدير نحوي كأنه لا يعرفني البتة ٠٠ وقد رأيته مرات عديدة والى جواره تجلس واحدة من ضحاياه الجدد فكنت أزداد حقدا عليه وكرهـا لـه ٠٠

إن علاقتي به لم تزد على أربعة أشهر يوما واحدا ، حطم خلالها كبريائي كأنثى وهشم اثناءها ثقتي بنفسي ٠٠

أربعة أشهر أخذ مني فيها كل شيء ٠٠ كل ما أراد بعد أن ملأ قلبي وعيني بالأمل وبالنور ٠٠ لكن ٠٠ سرعان ما تلاشى ذلك الأمل ٠٠ وانطفأ ذلك النور وتبخرت الاحلام الجميلة ٠٠

وللمرة الثانية اصطدمت بالواقع المر فانهارت أعصابي وضاعت مقاومتي وأحسست بأني اتمزق ٠٠ شعرت بخنجر من الشوك واليأس ينغـرس فـي حلقي وضلوعي ثم عدت الى البكاء ٠٠

⑦

● أبي ٠٠ لم يعد مشكلتي الآن ٠٠ أخي أحمد هو مشكلتي الكبرى ٠٠ لقد أحببته كل الحب ، ثم كرهته كما تكون الكراهية ٠٠ كأنما جاء ليعلمني الحب ويعلمني الكراهية ٠٠

أحببته يوم كان أستاذي في العشق وتبادل العناق والقبلات الى آخر مـا يحصل من التمادي فيهما ٠٠ وكرهته يوم اكتشفت انه خائن ضميره وأنـه زيف شعوري وحولني الى بضاعة لا ترفض أي مشتر يلفظها ويبصقها لحظة ابتياعها ٠٠ وكرهته لأنه أضعف من غريزته الحيوانية ولانه جبان لم يحذ حذو أترابائه ونظرائه فيبحث له عن عشيقة خارج حدود البيت الذي لطخ حرماتـه وداس مقدساته٠٠وكرهته بالتالي لأنه أصبح في نظري شيطانا أحتقره وأسخر منه ٠٠ وعدم وجوده أهم عندي من وجوده ٠٠

● أما أبي ٠٠ فقد سحقني إهماله ، وكنت كلما نظرت اليه نظرات متفحصة رأيت في وجهه الشاحب وجهين : الأول لرجل غريب ومخيف وغامض،والوجه الثاني ٠٠ لرجل سخيف تخونه زوجته ويعبث بكرامته ابن أحبه كثيرا وتمنى أن يجسد كل أحلامه وأمانيه في الحياة ٠٠

ـ مسكين أنت يا أبى ..

كنت أكتفى بهذه الجملة بينى وبين نفسى وأنا أحس بألم مرير يدب بين حناياى ..

لا تسألونى عن الدراسة .. فقد تحجرت الافكار فى رأسى وتجمدت رغبة التحصيل فى أعماقى .. ولم تعد ثمة علاقة بينى وبين السعى والاجتهاد .. ولا بينى وبين الدراسة بالمرة رغم أنى أغادر البيت مرة فى كل صباح وأخرى بعد كل ظهيرة ، هروبا بنفسى من الواقع المؤلم من جحيم العذاب .. وكانت ترافقنى محفظة لم أعيد أطيق حملها ولا حتى النظر اليها وكأنى أحمل بها مجموعة قنابل ..

● يا لهول الكارثة .. إن شبح الخوف يطاردنى باستمرار .. يعترض سبيلى ..

لقد بدأت أشعر بأن احساسى بنفسى تغير كثيرا .. وطعم الحياة والاشياء تغير بدوره كثيرا .. أحس بدوار عنيف .. بدوخة مستمرة تكاد تقلع جذور رأسى .. أحس برغبة ملحة لا تحد ، فى التقيؤ .. بدأ لونى يشحب .. عوارض غير طبيعية تظهر فى كل تصرفاتى وعلى جلدى .. أسنانى توجعنى .. نهداى تحجرا .. شىء فى بطنى يتحرك ..

لقد أصبحت أحمل جنينا فى بطنى ..

ترى ابن من يكون هذا الجنين الذى يهدد حياتى ؟ أهو ابن شقيقى الذى داس ضميره ؟ أم هو ابن ذلك اللعوب الممثل البارع ؟

لست أدرى .. لست قادرة على التفكير ..

إننى الآن أمام أمرين .. لا ثالث لهما ، أمام طريقين يتعين على اختيار أحدهما قبل فوات الأوان .. فاما ان انتحر ولا يهمنى ما سوف يحدث بعد ذلك .. واما ان استسلم للفضيحة التى سوف تقيم الدنيا من حولى وتقعدها ..

● وبينما أنا افكر ورأسى يلف بسرعة وكأنه يريد أن ينقذف من بين كتفى ، برقت فى ذهنى فكرة ..

اللجوء الى أمينة ؟!

وأمينة هذه صديقة لى تكبرنى سنا وتجربة .. ربما كان عندها حل أسهل

وأقرب ولا يكلفه ما يكلفه الحلان السابقان من معاناة وأتعاب وآلام٠٠ خصوصا وأمينة مشهورة بحدة ذكائها حتى انها كانت قبلة كل صديقاتها يلتجئن اليها ساعة الضيق والحيرة ٠٠

إذن ٠٠ على بأمينة ٠٠

ولم أعط لنفسى المجال الكافى حتى أفكر بالامر كما يجب ٠٠ فقد توجهت الى بيت أمينة أسابق أفكارى ٠٠

● كانت أمينة على أهبة الانصراف من بيتهم ، اذ كانت على موعد كما قالت بعد ذلك ٠٠ ولكنها عندما فتحت الباب الخارجي للبيت وجدت يدى معلقة فى الفضاء قبل أن تطرق الباب ٠٠

لم تخف أمينة مفاجأتها من زيارتى لبيتهم ٠٠ فقد كانت تلك أول مرة أزور فيها بيت صديقة حتى ولو كانت هذه الصديقة هى أمينة نفسها ٠٠ وهى الصديقة رقم واحد فى حياتى ٠٠

أدخلتنى أمينة الى حجرتها الخاصة فى أسفل البيت ٠٠ وهى حجرة متساوية الطول والعرض ٠٠ أنيقة ومريحة تعبق منها رائحة عطر ثمين ٠٠ رتب أثاثها ترتيبا متقنا مما يدل على سلامة الذوق عند صاحبة الحجرة ٠٠ عند أمينة المتميزة دوما بالاناقة والرشاقة والحيوية وبحبها للحياة فهى لا تعرف السأم ولا الملل ٠٠ ومن خاصياتها كذلك جمالها الذى لا يضاهى ٠٠ الا انها برغم أنها جميلة تجلب الانظار وتسحر الالباب لم تكن فى يوم ما ضحية غرورها بما حباها به الله من جمال ورشاقة ، بل كانت تملك من القدرة النفسية والعقلية والجمالية ما يجعلها تستميل الرجال وتأسرهم دون أن تمنحهم خفقة واحدة من قلبها القوى ٠ وكما ان للكثير من الرجال ضحاياهم من النساء فان لأمينة الكثير من ضحاياها من الرجال الذين يتهافتون عليها ويتسابقون من أجلها ويتفننون فى أساليب الاغراء دون أن يحرك ذلك ساكنا فيها ٠

كانت أمينة لا تزال ترحب وتبدى استغرابها لهذه الزيارة غير المرتقبة٠٠ وربما أنساها الاهتمام بى أنها على موعد خاصة عندما استطاعت من غير تكلف أن تفهم أن وراء زيارتى لبيتهم دافعا أقوى من ارادتى ، وأن فى الأمر سرا رهيبا ٠٠ فحدقت فى وجهى الشاحب بعينيها الثاقبتين ٠٠

ولم أقو على مواجهة نظراتها الفاحصة فقد انخرطت فى نوبة شديدة من البكاء حتى لفت ذلك نظر والدة أمينة فأقبلت تستجلى السر الكامن خلف

عبراتي الا أن أمينة عرفت كيف تصرفها عنا وتقنعها بعدم التدخل بعد أن كانت على وشك أن تقول شيئا قد لا أستطيع الرد عليه ..

باختصـــــار ..

رويت لأمينة كل شيء .. قلت لها كل ما عندى .. فقد كنت ضعيفـة .. كنت أحس بأنى فى حاجة الى أى شخص أفرغ له كل ما بقلبى وعقلى .. حتى ولو كان هذا الشخص دون أمينة ..

أطرقت أمينة برأسها برهة محاولة أن تخفى عنى وجهها .. وأحسست أنها قوية فهى تستطيع ان تمنعك مما تريد قبل أن تمعن فى التفكير .. فقد كنت أحاول ان أقرأ شيئا على وجهها القمرى الذى يطيب النظر اليه ولكنها اخفته عنى .. أحسست بها أقوى مما مضى .. فهى دائما قوية .. ربما كان لها هذا بذكائها.. ربما باتزانها وبثقتها فى نفسها.. ربما بطبيعتها الصارمة الواضحة المعالم .. ربما استمدت قوتها من بيئتها التى نمت بين احضانها.. ربما كانت قوية بسبب توفر كل هذه العوامل دفعة واحدة ..

هكذا كنت أفكر .. وقبل أن أسمع رأى أمينة التى كانت تعبث بشفتيها ، دخلت أمها وهى تحمل بين يديها (صينية) عليها قدحان من الشاى وضعتها بيننا ثم عادت الى الخارج بعدما ألقت على وعلى ابنتها نظرة تساؤل كبيرة ..

ومع أن بيت أسرة أمينة من تلك البيوت التى لا تخلو من خادمة .. فقـد تطوعت أمها لخدمتنا رغبة منها فى تتبع الحوار الذى يدور بيننا ..

رفعت أمينة رأسها الى ثم ربتت على كتفى وقد وضعت على شفتيها ابتسامة عذبة كأنها اشراقة أمل ، قبل أن تقول من غير أن يحدث أدنى تغييـر علـى نبرات صوتها :

خذى الشاى يا عزيزتى .. لا تبالى ولا تكترثى لهذا الحدث .

شعرت كأنى وجدت علاجى فى جملتها تلك .. كأن كل شيء تافه وليس بمستوى الخطورة التى تصورتها أنا ..

ورمقتها بنظرة مقتضبة وكأنى أوافق على كلامها ثم مددت يدى الى الكأس وجرعت منه جرعة من غير لذة فقد كانت كل حواسى جامدة ولم أعد متحكمة فيهـا .

ـ يتبـع ـ

دموع الهوى

شعر : إبراهيم عبد الباقي

يا دموعي خبريها من أنا   وانشديها في الهوى ما قلت لك
إن أمت عشقا وذا طبع الهوى   لا عليك أو عليه من درك
فأنا حب غريب ، عاشق   والجفا شرع الهوى والأمر لك !
كلما عذبت قلبي مسرفا   كلما ناديت : يا ما اعدلك !!

يا حبيبي إن قلبي ضارع   هاتف : يا مالكي ما اجملك !
منهل عذب ، وحب صارخ   يا ترى أرشف منك منهلك ؟!

تستوى في الحب ألوان الشقا   يستوى حي الهوى أو من هلك !!
حملي ما شئت إني صابر   صبر من لا يرتجي دور الفلك
وافرشي دنياي بالازهار أو   كللي قلبي وروحي بالحسك
فالهوى حلو ومر دائما   والهوى هو الهوى أني سلك

★ **وصلتنا جملة من المنشورات الحديثة للدار التونسية للنشر:**

- « بايات تونس وملك فرنسا » (بالفرنسية) 137 صفحة ومحلى بالصور وهو من تأليف : محمد الصالح مزالي ·
- ثلاث قصص للاطفال : « الهميان المفقود » ، « الربوة السعيدة » ، « لولا غزالة » ، نشرت كلها بالاشتراك مع دور نشر أخرى بالجزائر او بالمغرب الأقصى ·
- « النازلة التونسية » تأليف : محمد السنوسي ، وتحقيق : محمد الصادقبسيس ، وعدد صفحاتها 360 ·

ليالي الفتيلة

قصة بقلم : مراد عبد السلام بن عياد

بدأت ريم تشعر باضطراب عميق ... تحس بأن علاقتها بالحياة تقوى ... تنظر الى ما حولها بفاعلية غير معهودة ... تشعر بسعادة حين تفكر فى شيء غامض يجذبها اليه ...

تحس بوعي يسرى فى باطنها فيهزها هزا ... فلم لا تترك أيامها تسير بطبيعتها الآلية فتستقبل النهار بالسعى وتستقبل الليل بالنوم ؟

لم تكن ميالة الى الاستسلام وان كانت صواحبها من فتيات القرية يجدن فيه لذة وتعزية ... تراودها فكرة الخضوع فتستحضر ما تردده على مسمعها بنات العمال والفلاحين فى القرية حين يرينها مطرقة واجمة : « كل شيء بالمكتوب » فترد عليهن : « والعبد سبب ... » يتملكها استخفاف بهن ولكن بدون حقد ... لقد ذهبن ضحية للجهل والجناية الآباء ... وذهبت هى ضحية للجهل ولجناية الأب الذى منعها من الانصراف الى الكتاب بينما ينصرف اليه ميلاد ابن عمتها ...

* * *

كانت فى صباها تشعر بسعادة لا تماثلها سعادة حين تستيقظ فى ساعة مبكرة لترى ميلادا يستعد للذهاب الى الكتاب فيحمل لوحه ويأخذ سلته الصغيرة يحمل فيها فطوره وأحيانا هدية الى المؤدب « عمى الطيب » وغالبا ما تكون الهدية دجاجة أو بيضات ...

ما كان أسعدها وهى تشهد ميلادا يسعى الى الكتاب ... وما كان أشقاها وهى لا تستطيع مصاحبته اليه ...

كان المشهد يحز فى نفسها ! يسمح لميلاد بالذهاب الى الكتاب وتحرم هى منه ! أهو أقدر منها على الكتابة فى اللوح وعلى قراءة « الحمد لله » و « قل هو الله أحد » ؟

كانت تشعر بضيق ... بشيء ثقيل يشدها ويحد من طلاقة أحلامها ...

كانت تجد لذة حين تلقى بنظرة من خلال الشباك الى الطريق لترى ميلادا يسعى الى المؤدب بخطى نشيطة تدل على إرادة منه خلاقة ... فتغبطه على منزلته ... وتظل ترمقه من خلال القضبان حتى تغيب عنها صورته فى البعيد ، فتنزوى حينئذ بركن من الغرفة وتضع يدها على خدها المتورد وتظل حيرى تسبح فى عالم من الخيال رحيب فى صورة ميلاد الواضحة وصورة الكتاب الضبابية ...

وكانت تلك لذتها ... وكم من محروم يجد فى لذة الحرمان ما لا يجده السعيد فى النعمة ...

ميلاد فى نظرها ـ حينذاك ـ لم يكن مجرد صبى يبتغى الكتابة وحفظ السور ... بل كان بطلا مغوارا وفارسا فاتحا يتردد على عالم جليل ...

كانت تروم بناء هذا العالم الجليل فى رأسها الصغير ... تتصور ميلادا يلقى مؤدبه « سيدى الشيخ » وهو رجل مسن شيئا ما ... لحيته كبيرة ... رمادية ... وبشاربيه اصفرار من أثر التبغ والنفة ... وجبته واسعة يتعثر أحيانا بذيلها ... وله عصا من الزيتون يستعين بها على شذوذ الصبيان ... يسلم ميلاد على سيده باجلال ويقدم له هدية يوم الجمعة : دجاجة كبيرة أو بيضات كانت أمه قد اقتصدتها له ... يبتسم « سيدى الشيخ » لتلميذه الكريم ابتسامة صفراء ... وغالبا ما يكون تلاميذه كرماء فيجتمع عليه من الدجاج والبيض يوم الجمعة ما يسعد به زوجته « فطومة » وتنفتح له عيناها ...

كانت ريم تستعين بما يقصه عليها ميلاد لتتمثل بوضوح هذا العالم الجليل ... وكانت تنزعج حين يذكر لها أن « سيدى الشيخ » لا يكون بشوشا فى العادة الا يوم الجمعة يوم يقبض الدجاج والبيض ... وفيما عدا الجمعة يكون فظا متوحش الطبع يستعمل عصا الزيتون لتأديب الاولاد ... وكثيرا ما ذاق ميلاد الويلات من ضربات الفلقة ... فكان يحتاج فى كل جمعة الى الدجاج والبيض حتى تخفف عنه العقوبة فيحوج أمه ويضطرها الى التقشف .

* * *

ذهبت تلك الايام وجاءت أيام أخرى ففرقت بين ريم وميلاد ··· لأن الفتوة صارت لا تسمح لاحدهما أن يقرب الآخر على عادة أهل القرية والكل يحترم العـادة ···

وانطلقت ريم تشق طريق حياتها ··· لا تؤمن بالاستكانة ··· ولا يجـد التخاذل الى نفسها منفذا ··· وإنما تستيقظ كل يوم عند الفجر وبقايا الظلمة لا تزال تلامس الاشياء بمشقة وتفارقها رويدا رويدا ··· تأخذ جرتهـا ··· تحتل الجرأة مكانها من ظهرها بسرعة وبحركة آلية ··· تتسلل الى خـارج البيت ··· تظل تسرح بخطى متئدة بين الاشجار التى بدأ النسيم يغـازل أوراقها الخضراء ··· وبدأت خيوط الشمس الصفراء الضعيفـة تحاول أن تتخللها لتبعث فيها حياة النهار الجديد ··· تظل تسعى بأتـزان فى الحقـول الممتدة وهى تنظر الى ما حولها وابتسامة خفيفة تعلو ثغرها ··· وأحيانا ترنو الى الافق بنظرة فيها إشفاق ··· الى أين تقصد ؟ ستملأ جرتها وتعود ··· وعجلة الزمن تدور ··· هل تكل أمها الى الزمن ؟ هل تستسلم الى الرتابة ؟

كانت تستحضر أحيانا صورة ميلاد ··· تجد لـذة فى استحضارها ··· لذة الألم ··· ولذة الأمل ··· تتذكر أنهـا كانت ترقبـه فى مسعـاه حتى يختفى ··· شعور خفى ينتابها بين الآونة والاخرى ··· فيجر معه صـورة ميلاد ··· وصورة « سيدى الشيخ » وصورة الكتاب الضبابية ···

··· أما اليوم فتجاوز ميلاد عهد الصبا مثلما تجـاوزته ··· انقطـع عن الكتاب بعد أن تعلم فيه كل شىء : ختم « البقرة » وحمل فى رأسـه ستيـن حزبـا ···

فقدت ريم كل شىء يربطها بعهد الصبا ··· وبذكراه ··· ينبغى أن تنسى ميلادا ··· أن تدفن صورته ··· لم يعد يحمل لوحه ··· صار يرعى أغنام سيده « الجيلانى » ··· يقضى كامل يومه فى حراستها وليس لـه من أنيس فى الخلاء الممتد الى خط الاستواء غيرها ···

وثق الزمن بينه وبين شياهه أسباب الالفة بما لم يكن بينها وبين أحد من أهل الضيعة حتى « عمى الجيلانى » نفسه ··· فلا يقصـر ميـلاد من جهـده أبدا ··· بل يكلؤها بعنـايته ولا سيمـا مـا أشـرفت منهـا على المخـاض والوضع ··· ولا تبخل هى بما عندها بل تستسلم له مطمئنة راضية كلمـا أراد أن يعمل أصابعه الغليظة فى ضروعها عقب الوضع ···

* * *

فقد ميلاد أباه وهو غض الشباب لم يتعمق فى الحياة ··· وصار على موعد مع المحنة ··· وحسابها معه عسير ··· هو والصراع ··· وقدم ثابتة ··· وعصا طويلة يهش بها على الخرفان ··· والمحنة ··· ورأس مرفوع ··· وجمل مكتوبة بين عينيه : « الخبزة مرة ··· والحياة جهاد ··· والراحة فى القبر ··· ومن لا يشقى لا يلقى ··· »

ورث عن أبيه ··· الحاجة ··· وحراسة الشياه فى ضيعة « عمى الجيلانى » ··· والعصا الطويلة ··· وكوخا كان والده قد استأذن « عمى الجيلانى » ليبنيه بأغصان الزيتون والطين المخلوط بالتبن فى طرف من أطراف الضيعة ···

وورث ميلاد عن أبيه نصيحة : « ينبغى أن يعمل الملح فى عينيه » ···

* * *

فى اليوم التالى نهضت ريم عند الفجر ··· ألقت نظرة خاطفة على ما حولها فى الغرفة الصغيرة التى بدأت خيوط الضوء تتسرب اليها بمشقة ··· بدت لها الاشياء ضبابية لا تكاد تتميز ··· فركت عينيها المخذولتين ··· قامت من مضجعها متثاقلة متثائبة ··· أخذت جرتها كعادتها ··· تسللت الى الخارج برشاقتها المعهودة ··· رمت بنفسها فى الطريق المؤدى الى البئر ··· رنت بناظريها اللذين لم يفارقهما بعد أثر النوم ــ الى الافق كأنما تريد أن تستكشف أغواره ··· كأنما تبحث عن شىء ··· واذا بأسارير وجهها تتضح ··· كما تتضح أسارير النهار الجديد ··· واذا بشفتيها السمراوين تعلوهما ابتسامة لطيفة ··· واذا بها تشعر بطمأنينة غير معهودة ··· ويزول عن ريم الغموض الذى كابدته أياما ···

* * *

واستيقظ ميلاد فى العتمة ··· لم يستطع أن يرى شيئا مما حوله ··· استوى واقفا فى شىء من البطء والتخاذل ··· جعل يتحسس ما أمامه خشية أن يعثر فى متاع من الامتعة المتفرقة هنا وهناك ··· او أن يصطدم بعمود الكوخ المنتصب فى وسطه كالطود يقاوم الاعاصير ··· أخرج من جيبه علبة الكبريت ··· فأشعل الفتيلة ··· ساعده نورها الشاحب على الوصول الى الباب ··· طأطأ رأسه ··· تسلل خارج الكوخ فى رفق خشية أن يصطدم

رأسه بخشبة الباب الافقية ٠٠٠ راح يبحث فى البطحاء عن كومة الحطب ٠٠٠ الظلام لا يزال يغشى كل شىء ٠٠٠ وهو فى وسطه شبح متحرك يخرق بقامته الطويلة الفضاء الداجى ٠٠٠ لم يمض بعض الوقت حتى عاد الى الكوخ يهديه اليه تعود عينيه على الظلمة بعد لأى ونور الفتيلة الشاحب ٠٠٠ عاد يحمل بين يديه الغليظتين حزمة من أعواد الزيتون ٠٠٠ أوقدها أمام الكوخ ٠٠٠ تأججت نارها ٠٠٠ راحت ألسنتها المتلهفة تخرق الظلمة وتكشف عما حولها فى شىء من العناء ٠٠٠ اختفى ميلاد فى الكوخ برهة ٠٠٠ ثم ظهر من جديد على ضوء النار المتقدة يحمل مزود الدقيق٠٠٠ وإناء من الفخار٠٠٠ وقارورة الزيت٠٠٠ وقبع حذو النار ٠٠٠ وأمتعته منصوبة ٠٠٠ ينظر اليها بشىء من الرضى ٠٠٠

أخرج من المزود الذى اتخذه من جلد العنز ــ نصيبا من دقيق البسيسة٠٠٠ وضعه فى الاناء ٠٠٠ أمال عليه قارورة الزيت برفق٠٠٠ انسكب الزيت خليطا صافيا يعكس أشعة النار حتى لكأنه لسان منها ٠٠٠

جعل يخلط البسيسة ٠٠٠ فلما استوت له راح يدفع باللقمة تلو اللقمة الى فمه الواسع بشراهة ٠٠٠

لقد كان ــ الى حد ما ــ قديم عهد بالطعام ٠٠٠

وما إن فرغ ٠٠٠ حتى أتت النار على نفسها واستقرت ٠٠٠ اقترب منهـا ميلاد يطلب الدفء ٠٠٠ مسح فمه بكم كدرونه ٠٠٠ أخرج من جيب كدرونه علبة التبغ ٠٠٠ لف سيجارة ٠٠٠ أوقدها ٠٠٠ أقرها بين شفتيه مائلة شيئا ما الى الجهة اليمنى ٠٠٠ قرب يديه من النار المحتضرة يبعث فيهما شيئا من الحرارة ٠٠٠ والدخان يخرج من منخريه كثيفا ٠٠٠

أفنى سيجارته بعد أن كادت تحرق شفتيه وأصابعه ٠٠٠ وفنيت النار بعد أن أفنت فريستها ٠٠٠ تحولت الى رماد خالص جعل نسيم الفجر يداعبه ٠٠٠

قام ميلاد الى الزريبة يسوق قطيعه الى منابت العشب ٠٠٠ راح يقفو أغنامه التى انتظمت خطواتها ويضرب الارض الندية بعصاه التى يستعيـن بهـا على شذوذ الخرفان بدأ ضوء الصباح يكشف شيئا فشيئا عن الحقول والمزارع المبللة بالطل ٠٠٠ وبدأت معالم الطريق تتضـح للسالكين ٠٠٠ وجلس ميـلاد على مرتفع الارض يرقب قطيعه ويفكر فى أبناء القرية ٠٠٠ وهو يـرسم خطوطـا بعصاه ٠٠٠ كانوا فى ما مضى من أيام الخريف والشتاء ــ وقـد أصـابتهم

سنة جدب ـ يترددون على مقام «سيدى العربى» يستنجدون به،كمايترددون على المسجد فى كل جمعة يعمرونه ليعمروا فيه قلوبهم بذكر الله ··· ويستسقوه لعله يجود عليهم بقطرة ماء ··· ولم يتعودوا من قبل ذلك الخضوع ··· اللهم الا فى أوقات المحنة ··· فلما أن جاءهم الغيث من ربهم أعرضوا عنه الى حانوت « عمى سليمان » يلعبون الاوراق···ويشربون «الشاى بالكاكاوية » والخاسر من اللاعبين يحمل على الدفع ···

تذكر ميلاد أن الحكومة وزعت على أهل القرية لكل واحد جملا ومحراثا إثر نزول الغيث ··· على أن يخدموا ترابهم ··· ولكنهم أطلقوا الجمال فى منابت « الحماضة » ··· وأهملوا المحاريث يعلوها الصدأ ··· وأرسلوا نساءهم وأخواتهم ··· يردن ويحتطبن أو يلتقطن حبوب الزيتون المهملة ··· أما هم فلزموا حانوت « عمى سليمان » لا يفارقونه الا فى ساعة متأخرة من الليل ···

تذكر ميلاد أنه لم يتسلم من الحكومة جملا ومحراثا لانه لا يملك ترابا··· لم يزد على أن قال فى نفسه : « الفول ما يجشى كان للى ما عندوش ضروس ··· »

* * *

مرت ريم بميلاد وهى فى طريقها الى البئر ··· ألفته مطرقا إطراق من استطاع أن ينفذ بفكره الى الاعماق ···

اقتربت منه ··· لم تكلمه ··· لم يكلمها ···

ابتسمت له وابتسم لها ابتسامة يدركها قلباهما ··· واصلت طريقها ثابتة الضمير لا يضعفها شىء ··· تمادت وهى توقن أن ظروف الحياة وحدها ستفرض عليها وعلى ميلاد وعلى كل أبناء القرية مشيئتها ···

ملأت جرتها ··· وعادت الى البيت لا يثنى من عزمها شىء ···

م. ع. ع.

المرأة والتنظيم العائلي *

بقلم : السيد المازري شقير

لشد ما يسعدني ان اتناول الكلمة اليوم امامكم في نطاق هذه الندوة الهامة، راجيا ان تكون لمساهمتي بعض الفائدة في مناقشاتكم ومداولاتكم ·

واري من واجبي ان اتقدم باديء ذي بدء بفائق الشكر الى الاتحاد العـام للطلبة التونسيين على مبادرته الطيبة في تنظيم هذه الندوة ·

وهذه المبادرة تعكس ، في نظري ، مدى الوعي الذي اصبح عليه شبابنا التونسي ، ومدى اهتمامه بالمشاكل الاساسية التي لا يتيسر حلها الا ببذل المزيد من الجهد والتضحية · وتقوم هذه المبادرة ايضا دليلا واضحا على قوة ارادتكم وشدة عزمكم فيما اخذتم به على انفسكم انتم الفتيـات والشبـان المدعوون في المستقبل لتحمل جسام المسؤوليات سواء في مجتمعكم او في عـائـلاتكم ·

وليس من قبيل الصدفة ان يتولى الشباب تنظيم هذه الندوة ، فالمواضيع التي سيتناولها ذات تأثير حاسم على تطور البلاد ومستقبلها وعلى المجتمع وكل العائلات · واعداد المستقبل من واجب الشباب اذ النجاح رهين بقوته فـي النضال والمثابرة ·

وفي سنتنا هذه 1975 ، نعيش العام الدولي للمرأة الذي يأتي اثر العام الدولي للسكان · وقد كتبت حول ذلك المقالات ، والقيت الخطب ، والتأمت الاجتماعات والندوات في كل مكان من العالم · وتندرج ندوتكم هذه فـي جملة ما تم انجازه ، من هذه الاشغال لتبرهن مرة أخرى على ما يبديه العالم كله من اهتمام بقضية المرأة ·

(*) نص المحاضرة التي ألقاها السيد المـازري شقيـر الرئيس المدير العام للديوان القومي للتنظيم العائلي والعمران البشري في الندوة العالمية حول حقوق المرأة والنهوض بها ، المنعقدة بالمنستير مـن 28 الى 30 جـويلية 1975 ·

وفى نطاق الدراسة التى تقومون بها حول حقوق المرأة والنهضة بهـا ـ أرى من واجبى أن أبين لكم بايجاز **أهمية التنظيم العائلي ودوره في النهوض بالمرأة ، والتجربة التونسية في هذا الميدان** ٠

التنظيم العائلى ٠٠٠ لماذا ؟

ولقد اتسعت كثافة السكان فى وقتنا الحاضر بصورة تجعل من الخطأ عدم الاهتمام بها ٠

وهل يمكن اليوم لبلدنا الصغير ، وهو يخوض معركته الحاسمة لتحقيق انمائه ، ان يتغافل عن هذا السيل المنهمر من المواليد فلا يتعهده بالتنظيم والتهذيب ؟ وهل يمكن حقا لهذا البلد ان يخطو الى التقدم وان يوفر فى آن واحد لكل هذه المواليد المتدفقة التى يتضخم بها عدد سكانه كل يوم ما تصبو اليه من النمو اللائق ؟

لا سبيل قطعا الى الاقلال من عدد ابنائنا ٠ بل على العكس نحن فى حاجة الى شبابنا الذين هم عمدة المستقبل ٠ غير اننا فى حاجة الى شبان سالمين اقوياء سعداء قادرين على تحقيق الخير لانفسهم ولامتهم وعلى مجابهة الحياة بجسم قوى وعقل سليم وفكر ناضج ٠

وهل يتطلب هؤلاء الشبان اولا وبالذات ، غير نمو جسمى وعقلى معتدل سوى لا يتحقق لهم مع الاكتضاض والفوضى ٠

وانما جاء التنظيم العائلى لمقاومة الاكتضاض والفوضى ، ولافساح المجال الى الاعتدال والتوافق ، ولتمهيد السبيل الى العائلة المثلى التى ينـعم فيهـا الآباء والابناء بالسعادة والاقبال ٠

وهو يهدف أساسا الى اثراء حياة الانسان وتمكينه مـن بلـوغ اقصـى امكانياته والتغلب على نقائصه والتحكم فى مصيره ٠

وهو انطلاق للانسان لا قيد له ، فيه تتحقق له الثقة بالنفس ويتـم لـه الوعى والنضج ٠ وهذا معناه التغلب على النفس ، والنظر الى المستقبل نظرة المسؤول المدرك ٠

وهو انعتاق من القيود المادية لانه يمكن الفرد من اختيار حجم العائلة التى تتلاءم مع امكانياته وموارده فيتفادى الصعوبات والمشاكل التى تتخبط فيها كثير من العائلات الوفيرة العدد ٠

ولسنا فى حاجة الى التعرض لكل المشاكل التى تواجهها العائلات العديدة الافراد ، فقد يطول بنا ذلك ، والكل يعلم الصورة القاتمة من البؤس والفقر التى تعانى منهما بعض هذه العائلات ٠

ولا شك ان التنظيم العائلى كسب للمرأة ٠ فهو ينقذها من الارهاق المسلط عليها ، ويحافظ على صحتها البدنية والعقلية ويصلحها ، ويحقق لها بالتالى النهوض والتقدم ٠ وهو بما يسديه اليها من الفوائد الكثيرة يفتح فى وجهها آفاقا جديدة ويبدل نظرتها الى نفسها ٠

وهل نحن فى حاجة الى التذكير بحالات الحمل المتكرر غير المرغوب فيه ، والعلاقة الواضحة بين تعدد الولادات واخطار المرض والحوادث والوفيات التى تصيب النساء اثناء الحمل والوضع ٠

ولا ينكر اليوم احد حق المرأة فى التنظيم العائلى ٠ فالانسال لا يمكن فرضه قسرا عليها ، وانما يجب ان تقبّل عليه باختيارها الحر المبنى على الشعور بالمسؤولية وهو امر يتعلق بكرامتها قبل كل شيء ثم بامكانياتها وقدراتها البدنية ٠ وعلى هذا الاختيار يتوقف توازن المرأة وانسجامها ؟ وحسن قيامها بدور الام ٠ وهى لا توفق فى هذا الدور ابدا اذا كانت الامومة مفروضة عليها ٠ وكم من امرأة استهدفت لافدح الاخطار فى سبيل التخلص من حمل كانت كارهة لــه ٠

ان للعلاقة بين الأم والطفل أثرا بالغا عليه ، وخاصة فى حياته الاولى ٠ وراحة الطفل وتوازنه مرتبطان اشد الارتباط بما عليه الام من الاستعداد البدنى والذهنى وبسلوكها نحوه ٠

ولا يتوقف نمو الطفل على ما يقدم اليه من مواد غذائية ووحدات حرارية فقط بل يتوقف اساسا على الغذاء العاطفى الذى لا يمكن ان يمنحه اليه الا الآباء السعداء المتوفر فيهم الاستعداد والوعى ٠

وقد اثبتت الابحاث التى اجريت فى هذا الشأن ان الانحراف فى السلوك والتأخر الذهنى والاخفاق المدرسى والاجرام تكثر غالبا فى صفوف الاطفال المرغوب عنهم وفى العائلات الكثيرة الاولاد ٠

والتنظيم العائلى بقدر ما فيه من تأكيد على حرية الفرد واضطلاعه بمسؤوليته ، بقدر ما فيه من توطيد للانسجام والاستقرار العائلى ٠ ذلك

ان العائلة القليلة العدد تقل فيها الخلافات ، وتنبسط العلاقات وتتزن ، ويجرى فيها تعليم الاطفال على احسن حال · ولا اخال فى هذا الا ضمانا لمستقبلها ، ومستقبل كل افرادها ، وبالتالى مستقبل الامة جمعاء ·

والامم والمجتمعات فى حاجة الى كل افرادها لتحقيق ازدهارها · ولا تكفى ثرواتها الطبيعية والمادية وحدها لضمان تقدمها ونموها · اذ الانسان هو اعز ثروة ، وهو الغاية والوسيلة فى كل عمل نحو التقدم · وهذا الانسان ، لا يستمد طاقته وقوته ونجاعته الا من حالته الصحية ، البدنية منها والعقلية ومعنى هذا انه يستمد ذلك من طريقته فى العيش والوجود ·

التجربة التونسية

تعتمد البلاد التونسية على رصيدها الانسانى فى المقام الاول ، وهى لا تألو جهدا لحمايته واثرائه · ولم تسلك سبيل التنظيم العائلى منذ عشرة اعوام الا بنية تحرير الانسان اولا وبالذات وتمكينه من حياة كريمة لائقة ·

والهدف الاول ــ الذى ما انفك يؤكده المسؤولون وفى مقدمتهم الرئيس بورقيبة ــ هو تكوين الرجال المسؤولين الواعين الماسكين بزمام امورهم وتصرفاتهم ·

سياسة التنظيم العائلى

لقد ثبت لدى المسؤولين بتونس ان التنظيم العائلى حق أساسى لكل فرد · وانطلاقا من هذا المبدأ ، انتهجوا سياسة فى التنظيم العائلى تمتاز بطابعها الانسانى ، وتهدف اصالة الى توفير كل الظروف الكفيلة بابراز شخصية الفرد ، وبناء مجتمع سليم متماسك ·

وقد كان مشكل تضخم السكان موضوع اهتمام كبير لدى المسؤولين التونسيين · فقد دلت احصائيات المخطط الرابع على ان معدل تزايد السكان ينذر بالخطر الجسيم ، ذلك ان سرعته تؤدى الى شدة ضغط الطلب على مختلف القطاعات العامة ، مثل التعليم ، والصحة ، والاسكان والشغل ·

لذلك اصبحت سياسة التنظيم العائلى ضرورة ملحة لكبح جماح التضخم السكانى وتحقيق التوازن بين النمو البشرى والنمو الاقتصادى ·

الوسائـل التشريعيـة

صدرت منذ الاشهر الاولى للاستقلال عدة نصوص تشريعية ضمنت تحرير المرأة وركزت نظام الاسرة ، فكانت بذلك بمثابة الاساس الثـابت المتيـن لسياستنا فى التنظيم العائلى •

وبفضل آراء الرئيس بورقيبة ، الانسانية البعيدة النظر ، فان تونس تتمتع اليوم بتشريع طلائعى ، يعد ثورة اجتماعية حقيقية ، شملت العقول والقيم والسلوك ، وقصدت الى تحقيق الكرامة ورغد العيش الى كافة افراد المجتمع رجالا ونساء واطفالا •

النـهـوض بالمـــرأة

ان النهوض بالمرأة التونسية ، المنبثق اصالة عن هذه الاصلاحات التشريعية، يعود الفضل فيه الى ارادة تغيير الاوضاع والسير الى الامام التى اتسم بهـا التفكير البورقيبى • فهذا الرجل الذى ملك قلبه حب الحرية والعدالة ، ولم يقبل لنصف الأمة أن يبقى على ما هو عليه من استسلام وهـوان ، هو الذى انصف المرأة بالاقدام على عمل تشريعي جرىء ، فى مقدمته مجلـة الاحـوال الشخصية •

فهذه المجلة الثورية التى تلتها مجموعة من النصوص لا تقل عنها جرأة ، مثل قانون اباحة الوسائل الواقية من الحمل ، وقانون الاجهاض ، قد مكنت المرأة من استعادة حقوقها وكرامتها ، ومن اندماجها فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية •

يعد التنظيم العائلى عنصرا اساسيا فى الفلسفـة البورقيبية • وليس من الصدفة ان يكتسى فى اذهاننا وفى واقعنا هذا الطابع الخاص وهذه الابعاد الانسانية •

كيف ينتفع الناس عندنا وخاصة نساؤنا بهذه السياسة الانسانية ، وما هى طرق انتشارها بينهم ؟

ان الديوان القومى للتنظيم العائلى والعمران البشرى الذى انشىء خلال شهر مارس 1973 ، فى نطاق ما اتخذ من الوسائل التشريعية والادارية فى

ميدان التنظيم العائلى ، هو الذى كلف بتنفيذ المخطط التونسى للتنظيم العائلى • وقد نهج فى ذلك الى تثقيف المواطن ، وتطوير مصالح التنظيم العائلى وتحسينها ، وادماجها تدريجيا فى مصالح الصحة العامة فى مستوى القاعدة ، وخاصة مراكز رعاية الأم والطفل •

وتتمثل الجهود التى يبذلها الديوان لحماية المواطن واعانته وخدمته ، فى تنظيم برامج اعلامية وتثقيفية واسعة النطاق يمكن وصولها الى كافة المواطنين فى كل مكان • وفى تكوين الاطارات الطبية والاطارات المساعدة والاطارات التربوية • وفى زيادة الفرق المتنقلة بالمناطق الريفية ، وتعميم مراكز التنظيم العائلى باغلب الولايات •

وتوجه عناية خاصة لمراكز رعاية الام والطفل ، سواء من حيث الاجهزة ، او الموظفين ، او الاستقبال • فكل امرأة تؤم هذه المراكز تجد الموظفين الاكفاء الذين يتولون ارشادها ومدها بمختلف النصائح المفيدة لابنها وأسرتها وشخصها •

ويتوفر فى مراكز التوجيه والتنظيم العائلى الاطار المثالى لاستقبال النساء ، وأداء ما يحتجنه من الخدمات على أكمل الوجوه • وانما كان التوجه اليهن بذلك اخص ، لان التنظيم العائلى يعنيهن اكثر مما يعنى الرجال • وقد صدرت مناشير ومذكرات عديدة من وزير الصحة تؤكد على ما يجب توفيره من رعاية وقبول للنساء واطفالهن ، والطبيب والقابلة والمرشدة الاجتماعية مجندون فى كل وقت لتقديم الفحص والعلاج والتوجيه اليهن • وتحاط برقابة دقيقة كل امرأة استعملت احدى وسائل التنظيم العائلى • وتتمتع نساء المناطق الريفية ، والمناطق النائية باهتمام خاص ، ويجدن لدى الفرق المتنقلة والمرشدين الاجتماعيين كل رعاية ومساعدة • كما تنظم للنساء اللائى يتعذر عليهن التنقل الى المراكز الطبية زيارات خاصة الى بيوتهن •

والخلاصة اننا نعتبر ان التنظيم العائلى وسيلة ناجعة ومضمونة لحماية صحة الأم • لأنه يمكنها من القيام باعباء الأمومة فى ظروف بدنية ونفسية حسنة ، ويقدم اليها التوجيه المستمر الذى لا يقتصر على الوسائل الواقية من الحمل ، ولكنه يساعدها على اصلاح حالها وحال اطفالها واسرتها •

ويجب ان لا ننسى أهمية الدور الذى تقوم به المرأة فى المجتمع :

فهى كأم وكمربية تتحكم فى مصير ابنائنا ، ويلزمها لذلك ان تستوفى كل قواها العقلية والبدنية لتستطيع أداء ما أنيط بعهدتها من تربية النشء وتهيئته للمستقبل وقد أصاب من قال : « ان الطفل أبو الرجل » .

ثم على المرأة بالاضافة الى ذلك ان تشارك الى جانب الرجل فى تنمية البلاد وتقدمها . ومساهمتها هذه لا تتحقق الا بقدر ما يتوفر لها من الادراك والنضج والاستعداد للتفرغ بنجاعة الى عملها فى نطاق العائلة وخارجها .

لا اريد الاطناب حول اهمية الدور الذى تضطلع بـه المرأة فـى الاسـرة والمجتمع ، فانكم ستدرسون فى ندوتكم هذا الموضوع بكل تعمق . ولكنى احببت ان ابدى بعض الخواطر الشخصية حول موضوع له صلة متينة بوضع المرأة ، وهو موضوع التنظيم العائلى . وانى واثق من انكم ، شبانا وفتيات ، مقتنعون بأهمية هذا الموضوع ، وجادون فى العمل على صيانة حق المرأة فى استقلال الشخصية ، وفى الحرية والكرامة .

م. ش.

مناهج البناء الخلقي

في المجتمع الاسلامي الحديث (*)

بقلم : محمد منصور

— I —

المميزات المستحدثة بالمجتمع الاسلامي فيما قبل ظهور الطاقة : دواعيها وآثارها

لقد استمر الاسلام على نقاوة نبعه العقائدي وغزارة فيضه الاخلاقي السامي ينشر روافده أينما حل ، فلا تزيده المماحكة الا ثباتا في النفوس وجلاء في الأبصار ، حتى انتشر بين ربوع حضارية متباينة الاهواء والمذاهب على رقعة واسعة من الارض فاخصبته فكرا وعلما وأدخلت تحت فيئه شعوبيات فكرية متطرفة وعصبيات عرقية هدامة واشرأبت النفوس الى مزيد من السلطة والسلطان ، وأطلت الفتن الحزبية بين الجماعة الاسلامية تلوح بشعارات لصيقة بالاسلام ، وتوزع المسلمون بين ظاهر وباطني وشيعي وخارجي ، وسني وصوفي ومبتدع وتدابر المفسرون والمجتهدون بين النص والعقل فيما لابس حياتهم من أحوال واشكالات ، كالقول بكفر المسلم العاصي أو بأن كلام الله مخلوق ، فتكاثر المنتحلون ووضاع الحديث ودعاة التشيع الرخيص ، وانطلقت أيدي الولاة وأهواؤهم في أموال الرعايا وحرماتها ، ونشط المجون والعبث في قصور الخلفاء وذوي السلطان ، وانبث الموالي والغلمان يلعبون بعقول العامة والخاصة ويوجهون سياسة الدولة لما يرضون ولما يطمحون من جاه وعبث ، على سند من التعصب القبلي او المذهبي ، فاضطهد المصلحون والمتقون ولوحقوا بتهم الفتنة والابتداع ، وتعطلت المفاهيم الاخلاقية السليمة عن الحركة والفعالية بين عموم الناس ، فانتشرت الرذيلة والوشاية والكذب والاستخذاء والتملق والنهب حتى أصبح الفرد أشد ايثارا لارضاء السلطان وعيونه من التعلق بالاخلاق والقيم الاسلامية محافظة على النفس وتيسيرا لسبل العيش ، فانقطع حبل النصح

(*) نشر الجزء الاول في « الفكر » ـ عدد 7 ـ افريل ـ 1976 .

والشورى والايثار والاخلاص ، وتهاوى الناس بسلوكهم الى درك سحيق من الفوضى والانحلال لم تسلم منه الا فئة من العلماء والعباد القانتين ، الذين انقطعوا بعلمهم وتقواهم عن مخالطة العامة او الاشتغال بشؤون الخاصة الا ما كان من قبيل الامتحان الذى يعرضون اليه من حين لآخر

وكان من نتائج هذه الظروف التى أحاطت بالعالم الاسلامى ، ما ساده من كبت للحرية الفكرية وتقاعس عن طلب العلم ، وتخاذل فى نصرة الحق ، ولا مبالاة بقضايا الامة ، وانصراف عن العمل المنتج الى افتعال أحابيل التحيل والغش أو انصراف الى اليأس والتزهد ، واهمال لمقتضيات الأحكام الشرعية ، مما أدى الى تقوقع الرسالة الاسلامية تحت وطأة العصبيات الضيقة والعداء الطائفى الرخيص ، فلم يعد ذووها يطمحون لمزيد من نشر الحق وهداية النفوس ولا يثأرون للدفاع عن الحرمات ضد هجمات الاعداء ولا يشعرون بأى نداء قد يوجه اليهم لمراجعة أنفسهم واصلاح أوضاعهم .

حتى نفقت كل القوى الاجتماعية الحية ، واستسلم الناس لزهد يائس وقناعة مستخذلة وانهار الرجل المريض تحت وطأة الهجمات الغربية المعادية وتداعى العالم الاسلامى فى دوامة جديدة من السلبية الاخلاقية يتجاذبه فيها عاملان : الضعف السياسى والاجتماعى والاخلاقى المزمن من ناحية . والاندحار أمام قوى عدائية دخيلة واجهته بفيض من الابتكارات والارهاصات المعنوية والمادية من ناحية أخرى . وقد هيأت لذلك خاصة : (الحروب الداخلية التى أضعفت الامة وفرقت الكلمة فهى حروب منشؤها طمع الحكام وفساد أهوائهم وجبهم الاستئثار بالسلطان دون سواهم ، ومصدر ذلك كله جهلهم بدينهم وارتخاءحبل التمسك به فى أيديهم ، وأكبر داء دخل على المسلمين فى هممهم وعقولهم انما دخل عليهم بسبب استيلاء الجهلة على حكومتهم ، وهم أهل الخشونة والغطرسة الذين لم يهذبهم الاسلام ، ولم يكن لعقائده تمكن من قلوبهم ، ولو رزق الله المسلمين حاكما يعرف دينه ويأخذهم بأحكامه لرأيتهم قد نهضوا ، والقرآن الكريم فى احدى اليدين ، وما قرر الأولون وما اكتشف الآخرون باليد الاخرى . ذلك لآخرتهم وهذا لدنياهم وساروا يزاحمون الاروبيين فيزحمونهم) (1) .

---

(1) يراجع كتاب (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) للشيخ الامام محمد عبده . الطبعة الثالثة بمطبعة المنار بمصر سنة 1341 ص 13 .

عوامل التحول الاجتماعي الحديث :

الا ان العالم الاسلامي بالرغم مما سدر فيه من غيابات الجهل والفتن والتخاذل زمنا طويلا • فان حساسيته القومية لم تمح • ويبرز ذلك في تمسكه بمعتقده وتسليمه بسلامة الخلق الاسلامي وسعيه للتحلي به بل وحنينه الى استعادة عصامية المجتمع الاسلامي الاول حكاما ورعايا ، علما وعملا ، خلقا ومعتقدا وتحسسه بالآصرة الاسلامية في غير مظهر واحد سواء عند حدوث الاحن أو المحن في أية رقعة من بلاد الاسلام أو لاي فرد من المسلمين أو في أيام الرخاء عندما تنشط التجارة وتتلاحق قوافل العلم والكسب في ارتياد ربوع الاسلام دون قيد ولا شرط • مما اكسب المسلمين قوة على التصدي غالبا لهجمات عنيفة مختلفة المصادر كان الطابع الديني يغلب عليها ان لم يكن هو الحافز لها طيلة الفترة التي كان خلالها الحكم السياسي باوروبا يخضع للسلط الدينية •

فلما اتخذت الدولة الاوروبية شكل التنظيم المدني وتحررت المعرفة التجريبية من كابوس المنطق الصوري ونشطت الاختراعات عقب عصر النهضة • واكتشفت قوانين الطاقة وتطورت الوسائل الحربية • سعت الدول الاوروبية الى ربط علاقاتها السياسية بالعالم الاسلامي عن طريق الديبلوماسية المرنة • وامتد سلطانها ــ تبعا لمعاهدات قنصلية متعددة ــ ليشمل مهاجريها الى بلاد الاسلام تجارا كانوا أو صناعا أو مبشرين ديبلوماسيين • وليكشف عن طبيعة بناء الدولة الاسلامية وظروف نشاطها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي • وعن مواطن الضعف فيها • التي تهيىء للطموح الاوروبي متسعا استعماريا على الرقعة الاسلامية الشهية ليفرض سلطانه على السيادة القومية لها وليضع ثروتها ومصيرها بين يديه ، يكيفه بالصيغة التي يشاء وبما يؤمن له مزيدا من الاطمئنان الى تأخر نهضتها • ففرنس وأنقلز وبشر واستخدم الناس عبيد أرض • ونشط التخاذل والتزهد بينهم ، وأثار الفتن بين المجموعات على أساس قبلي أو جهوي أو طبقي • وحرم المواطنين الاصليين مما يملكون • وخذلهم فيما يطمحون اليه من حرية وعلم ورغد • وأباح المخدرات • وأشاع بينهم السحر والشعوذة•ولمزيد من الفاعلية لأغراضه والاستقطاب لما حوله نشط الترجمة، واستحدث قواعد لما لا يقعد من اللهجات العامة • وأقلم الامة ووضع بين عناصرها حدودا من السلاح وحرض ضعفاء النفوس على أصالتهم وبني جلدتهم ، لينضووا في ظل القومية الدخيلة وليحترفوا الوشاية والخيانة والغدر والتزوير لفائدة الدخلاء ، وأحدث مدارس مشبوهة ، تعزل الطفل عن قومه

وتربى فيه الكفر بدينه وأخلاقه وأصله ، وبث الرشوة والظلم والفقر والجهل وما ينزرع في بيئتهم من الرذائل والمفاسد • وهيأ هيكلا للتمييز العنصري قوامه المفارقة الفاحشة بين الاروبيين عرقا وأهل البلاد الاصليين • فقد استحوذ الاروبيون على الثروة القومية ومكنوا من رغد العيش وقوة النفوذ وانفردوا بالعلوم • وتقنياتها المادية والنظامية في مختلف المستويات التعليمية • ورتبت لهم تنظيمات ادارية واقتصادية واجتماعية خاصة • وأوحى اليهم بأن المسلمين أعداء لدينهم ولجنسهم ، وأنهم بدائيون متخلفون على مستوى متدن من الاخلاق والمعرفة • وكيفت حياتهم بشكل لا يربطهم معها بالمسلمين الا رابط التفوق والتسود ، وعلموا مقابلة السكان الاصليين بالجفوة والاحتقار والاهمال والاستخدام الرخيص •

ولئن أدى ذلك الى استحكام العداوة بين الطرفين آنذاك ، وابراز التناقض الواضح بين أساليب حياتهما • وتنافر هدفهما من هذا التعايش البغيض•فانه حفز المسلمين الى الكشف عن مباني الحضارة الاروبية وطرائق عملها وآثارها على نمو الفرد والجماعة • رغبة في اقامة حركة تحريرية اصلاحية تحافظ على مقومات الذاتية القومية وتسعى لتخليصها من براثن الاستعمار البغيض من جهة وتفتعل أساليب التحضر والتفوق المادي الحديث من جهة أخرى • بما هيأ الاقتناع الباطني لدى المسلمين بضرورة التعرف على نواميس التقنية الآلية والتنظيم المادي للهياكل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في الدولة الحديثة • ومجانسة ما ينتحله العالم المعاصر من أساليب السياسة والتربية والتطور في ارساء البنية الاجتماعية للمجتمع الحديث - كالاقرار بالحريات الاساسية للانسان والتنظير بين حقوق الرجل والمرأة والطفل - فضلا عن احكام الاتصال بالعالم الحديث ومجاراة أحداثه وجدلياته الاجتماعية والعلمية الوضعية ومتابعة مده الاعلامي والثقافي ، وانتحال مكيفات التبليغ الاشهاري الحديث والتسليم بمقتضيات وبمباني التنظيم الاقتصادي الدولي اشتراكيا كان او رأسماليا • حتى انغمس المسلم في المجتمع الدولي وعاداته • وكادت تنحبس انفاسه المعنوية تحت الضغط المادي ، وفقد القدرة على التمييز بين النقي والخبيث من المستوردات الحضارية المتراكمة ، التي طغت بحكم العادة والاستمرار على ما فيه من قيم أخلاقية أصيلة ومن قدرة على الرفض والثبات ، خاصة بعد ان تطورت وسائل الاعلام،واستندت فيما تتخم به الناس من معلومات الى علم وحيل ليس بقدرة المنتفع العادي غربلة الصحيح من الدخيل فيه • وبعد ان ارسيت هياكل الدولة والمجتمع على اسس دستورية وانمائية ذات طابع انتاجي واستهلاكي

معقد ، لا علاقة له بسنن الآباء ونواميسهم ، وانتشرت مفاهيم حركية ذات علاقة بالعلم وبحقوق الانسان استقطبت اهتمام الفرد وعواطفه على المستويين القومي والدولي ، كارتياد الفضاء والادوية الوقائية ، وحركات التحرر من كل ضغط لا مشروع ٠ واتسعت آفاق المعرفة لتحتوى أفقيا وعموديا ، تجريبيا حينا ونظريا حينا آخر ، كياني الكون والانسان وما لفهما من علاقات ونواميس فأعجزت وأغنت ، وانقبض سلطان الدين وأثره على أوجه الحياة الخاصة والعامة للفرد ، كنظام اجتماعي ، وأخلاق عامة ، وكاد يقتصر الاحساس به على الاعتقاد الشخصي والتنظيم الاسرى ، واقامة بض الشعائر الجماعية ، وتوثيق الايمان ، واقامة الرابطة السياسية بين وحدات المجتمع الاسلامي ٠

الخصائص الاخلاقية السائدة بالمجتمع الحديث :

ونتيجة لذلك تحول المجتمع الاسلامي عامة الى مجتمع دولى ٠ وانصهر في الكوكبة العالمية وأخذ يعتاد أنماط حياتها،ويحدد من مفارقاتها العامة لها،ويفتح مصاريعه أمام التيارات الانسانية والتقنيات الالية المستحدثة بالعالم ٠ ويأخذ نفسه بحتمية الانفعال بها واكتساب خبراتها ويوثق علاقاته الاجتماعية والفنية بالمجتمعات الاخرى ٠ حتى اتسمت بيئته الاجتماعية بمختلف الخصائص والمميزات التى تسود المجتمع الحديث على مستوى الافراد والجماعات ، من تكاثف ديمغرافي في محيط سكني سيء عامة ينفتح كبؤر للرذيلة والانحلال الخلقي ٠ ومن تحرر التنظيمات المذهبية والمنازعات الدولية او الحزبية ذات الطابع السياسي ، من المفاهيم الاخلاقية فيما تتخذه من وسائل العمل ٠ ومن تحول مجموع الأنشطة السياسية عن معالجة النواحي الاعتقادية والاخلاقية ، الى الاهتمام بالمجالات الاقتصادية والاجتماعية ٠ ومن انصراف السلط الحاكمة عن العناية بتدعيم البناء الخلقي للفرد والجماعة الى البناء المادي للفرد وتنشيط المحاور التقنية والغريزية في سلوكه ٠ ومن تقابل بين القيم الدينية ودواعي التنظيم الحديث ـ بحسب مقتضيات النظرية الامية ـ وانبهار بالابتكارات العلمية ، وتشتت نفسي تحت تأثير العوامل الاعلامية والمادية ٠ ومن ضعف السلط الدينية في المجتمع المعاصر وتحرر المرشدين الدينيين في بعض الاحيان من المثالية الاخلاقية ٠ ومن تسلط الثقافة الاجنبية على الذاتية القومية ، وانتشار الكحوليات والمخدرات بين معظم أفراد المجتمع ٠ ومن تفكك الاواصر العائلية وتحول الخلايا الاسرية او القبلية الى وحدات مهنية نفعية ذات علاقات وظيفية آلية ٠ ومن ضعف الوازع المعنوى

لدى الانسان المعاصر ، تحت وطأة ما يعانيه من قلق نفسي وانهيار عصبي وضعف عاطفي ٠

وهي خصائص متكاملة ، وذات منحى مزدوج ؛ ايجابي وسلبي ٠ فهي ايجابية من حيث مصدرها ، باعتبار انها نتيجة لعوامل حضارية لا يتقوم التقدم البشري بدونها ٠ كالتقنية والمواصلات ، والتطور الاقتصادي والايديولوجي وغيرها من مجالات العلوم التجريبية والانسانية الاخرى ٠ وهي سلبية من حيث آثارها ٠ باعتبار ما ينشأ عنها من انانية وفوضى وانحلال اجتماعي وعبث لا اخلاقي وافتقاد لقيم المكارمة والمحبة وللمبادئ والمقاصد الانسانية السليمة التي تتواجد داخل الاحساس الباطني للانسان في مناعة عن كل تقنين أو تمذهب ، بالرغم من انها الأس الاول لكل بناء حضاري في مجتمع ما، على ما في مجموعها من تناقض ذاتي ٠

المسالك والهياكل المقترحة لاقلمة القيم الاصيلة بالمقتضيات الاجتماعية المعاصرة :

وبالنظر لارتباط هذه الظاهرة بعاملي العالمية والتطور ، فقد اشتبهت السبل أمام المصلحين القوميين والدينيين في معالجتها ، وعزل الخصائص السلبية لها عن المجتمع الحديث ٠ ذلك أن كل تناول بالحل لهذه المعضلة على المستوى القومي والاعتقادي المحض هو تناول قاصر وضعيف ، خاصة بعد أن طغت التأثيرات الدولية على اهتمام الانسان وأصبح مرتكز تفكيره أداء عمله الوظيفي الضاغط وتحقيق رغد العيش في ظل الآلية الشهية والوقاية الطبية دون كثير اهتمام بالتفريعات الحكمية التي يخلعها المجتهدون الدينيون او الانعزاليون القوميون على رغائب الانسان وتصرفاته ولو كان من القوميين المؤمنين ٠ الامر الذي آل بمعظم التجارب في هذا المجال الى الفشل ٠ وهو ما صير الاهتمام سياسيا بموضوع الاخلاق محل جدل فكري وتقابل عملي بين فئات ثلاث :

1) فئة محافظة من دينيين وتربويين ترى أن المحافظة على الاخلاق الفاضلة أمر حتمي لبناء الامة وتحقيق ذاتيتها ٠

2) فئة اصلاحية من علمانيين واجتماعيين ترى حتمية تطوير اخلاق الامة وتلوينها بطابع إيجابي مستحدث ٠

3) فئة متحررة من اللامبالين الذين لا يرون في اصطناع الظاهرة الاخلاقية أية فائدة لتحقيق سلامة المجتمع العلمي الحديث ٠

وهكذا يتأكد الدور الاساسى لرجال الدين فى التحمل بالرسالة الاخلاقية العظمى من جديد • وتخليص العالم مما قد يحيق به من يأس واضطراب ، وحماقات لا يحمل اللا أخلاقيون أى وازع فى الاحجام عنها•وهو أمر ليس من المستحيل على المؤمنين تحقيقه فى أرضية اعتقادية لم تجف من ينابيع الثراء بعد • شريطة أن يؤمن الدينيون بضرورة حماية العالم من هوة اللاأخلاق • وأن يتجاوزوا بالاحترام ما بينهم من مفارقات اعتقادية • وأن يتخذوا من معتقد أى منهم بالاضافة لحقيقته الميتافيزيقية أداة للتحمل برسالة الاخلاق فى العصر الحديث ، وأن يعتقدوا وأن جذور الماضى وحزازاته ستمحى أمام أهمية المسؤولية العظمى الملقاة على عاتقهم فى هذا العصر • وأن يفتحوا ذراعيهم للالتقاء بمختلف المذاهب والنزعات العالمية التى تؤيد السعى لهذه الرسالة أو تتقبل مجانستها ، أيا كان منهجها ومعتقدها ، لذلك فان على المفكرين الدينيين أن يقتنعوا بضرورة التشاور والتكامل بينهم وأن يؤكدوا استعدادهم للقيام بهذه الرسالة العظمى من خلال برنامج عملى دولى شامل ومستمر يفتعل ما هو فى حاجة اليه لتحقيق غايته من هيئات تنفيذية واستشارية وحركة اعلامية ونسيج من الاتصالات المحكمة على المستويين الشعبى والرسمى وما يتبعه من اجراءات عملية على مستوى القانون والاعلام وان يقتنعوا مسبقا بضرورة وضع العادات الاصيلة والاساليب المستحدثة على محك الايجابية الانسانية وما لابسها من معطيات علمية وتقنية معاصرة ، بغض النظر عما اذا كان ذلك يرتبط بعادة مستحكمة أو انفجار عاطفى جامح ، وان فيما ستحمله لنا الايام من مبادرات ايجابية فى هذا المجال لبشرى للانسانية واطمئنانا لمصير العالم • كان الله فى عون من اخلص القلب والعقل لهذه الرسالة الجلى من المؤمنين العاملين والسلام•

◆ **من مواد أعدادنا القادمة :**

★ « النزعة الاجتماعية فى أدب التوحيدى » / توفيق بن عامر
★ « من سبل الانفتاح التربوى » / مصطفى بوهلال
★ « قد يكون » (مسرحية) كتبها محمد الامين خلفة
★ « المسجد الاقصى » (شعر) هارون هاشم رشيد
★ « وكانت ليلتى شكا » (شعر) عبد القادر بن شرودة
★ « رحلة الحب والجنون » (شعر) مبروك المناعى
★ « صرخة الدماء » (قصة) الهادى حمودة الغزى

ندوة القرّاء

أقزام الثقافة والحمار القصير

بقلم : محمد خريف

(كلية الآداب)

الحمار الثقافي في نظر البعض سهل الامتطاء ،،، في متناول كل قزم يطمح الى الرفعة والصعود ،،، هذا الحمار مسالم يعاني من غباوة راكبيه وهذيانهم المتواصل ،،، إنه يصبر على الأذى ،،، ويجابه أحيانا بالنهيق والصغور ٠

من بين أقزام الثقافة : هناك الشاعر ونصف الشاعر ، والناثر وربع الناثر والناقد وشبه الناقد ،،، وغيرهم كثير من حاملي ألقاب السلطنة الثقافية الكاذبة ،،، ممن يحاكون في غرور صولة عمالقة الثقافة وكبار المفكرين ٠

والحمار الثقافي الذي نشير اليه ،،، لم يكن حيوانيا من طينة حمار المازني ،،، وإنما قد من الورق التجاري ،،، الذي يستعمله الباعة المتجولون في الأزقة الشعبية والاحياء القديمة ،،، ذلك الورق يتربع عليه أولائك الأقزام من محدودي المعرفة ،،، ويشرعون كلما سنحت لهم الفرصة ،،، في حشر الاذهان بالآراء المفتعلة التي لا تقوم على سند نقدي صحيح ،،، وهي التي تهز المشاعر ولا تبعث على التأمل والاستفادة ٠

وغاية هؤلاء الطعن والتنكيل بالغير ،،، يدفعهم الى ذلك دافع شخصي ،،، لا يراعي المصلحة العامة وخدمة الثقافة ،، فيستندون في تعليقاتهم على أساليب سفسطائية وعبارات ملتها الآذان كقولهم : (هذا إنتاج لا قيمة له ،،، هذا فلم تجاري ،،، ذاك هزل مجاني ،،، هذا برنامج نشم منه رائحة الصهيونية) فهم يصدرون أحكاما كثيرا ما تكون مسبقة دون تعليل ولا إقامة دليل على حسن نواياهم ٠

إن لهم من الشجاعة ما يجعلهم يتجرأون على نقد كل ما هب ودب ،،، فيحكمون على الانتاج المحلي المتواضع كما يحكمون على الانتاج الاجنبي بما فيه الغث والسمين بنفس الطرق والاساليب ،،، دون تصفح الاثر أو مشاهدة الانتاج ،،، مما يخيل للبعض أنهم أوصياء على حظوظ الثقافة ومصير الاجيال.

ترى .. ألا يوجد من بين مستهلكي الثقافة ممن يخاف عليهم الاقزام من هو أقدر وأجدر بمهمة الناقد .. من القزم نفسه ؟

لكن الذى نستطيع قوله فى هذا الشأن ،،، أن الحمار الثقافي القصير سيمل لا محالة يوما همجية الاقزام ،،، وسينصرف عنهم وبذلك يجدون أنفسهم يسيرون فى الطريق العام حفاة عراة ،،،

م. خ.

محاضرتان معا

بقلم : محمود صبح

(الاديب الفلسطيني المقيم بأسبانيا)

بينما كنت انصت الى الدكتور « خوان برنيت » (استاذ اللغة العربية بجامعة برشلونه) وهو يلقى محاضرة عن مناهج الترجمة عند العرب ، كانت تتوالى على سمعى محاضرة اخرى عن الموضوع نفسه (لست ادرى ان كان هذا يحدث لغيرى ، علما بانى سليم العقل ، بالقدر الذى تسمح به متناقضات العصر وتغييرات المسلمات العشر ، وعلما بأن المحاضرة كانت جد شيقة) ، وهأنذا أنقل الى القارىء مقتطفات من كلتى المحاضرتين معا .

ـ انهم (اننا) وضعوا ثلاثة شروط اساسية يجب توفرها فى كل من يقدم على ارتقاء سلم الترجمة وهى أن يتقن اللغة التى يترجم عنها ، أن يكون له اسلوب حسن فى اللغة التى يترجم اليها ، أن يكون ذا معرفة جيدة بالمادة التى

يترجمها ـ قام الشاعر الكبير ... بترجمة قصة لكاتبة اسبانية معروفة ، وبما أن الشروط الثلاثة متوفرة (الكاتبة تقيم فى باريس ، المترجم يتقن اللغة الفرنسية ، الفرنسية والاسبانية ولغات أخرى هى لاتينية) فقد جاءت ترجمته ترجمة رائعة تستحق التصفيق بالآكف والاشارة بالأصابع ـ لم يكن يجرؤ حنين بن اسحق على ترجمة شىء فى الرياضيات لجهله فى هذا العلم ، ولذلك فقد اراد ان يختص ابنه منذ الصغر بالرياضيات حتى يكون قديرا على ترجمة الكتب الرياضية ـ لقد قام الوزير الرئيس الاديب بترجمة لوركا الى العربية عن طريق زوجته التى تتقن اللغة الانجليزية وبمساعدة المغتربين العائدين من أمريكا الجنوبية ، فكانت موفقة استحق عليها الوزارة والرئاسة ـ اعتذر حنين ابن اسحق عن ترجمة صفحات من كتاب الفلسفة لارسطو لانه لم يفهم محتواها ـ صدر كتاب مختارات لشعراء قارة بأكملها فلاقى صدى كبيرا ، وقد استعان المترجم بدفاتره القديمة حين كان يدرس التركية وشيئا من الفرنسية ـ يقول الجاحظ ان ترجمة الشعر شبه مستحيلة وان مترجم الشعر يجب أن يكون شاعرا ـ أنا مراسل مجلة كثيرة الدفع والانتشار ، وقد ترجمت أخيرا قصائد لنرودا ، أرجو أن تساعدنى بترجمة بعض الكلمات التى لم اعثر عليها فى القاموس ، وقد سألت معلمتى عنها فضحكت وقالت الى الدرس القادم ـ أنشأوا (انشأنا) دورا للحكمة كانت فيها اقسام تختص بالترجمة ، وكانت تؤلف لجان يعهد اليها بهذا الامر الخطير ـ نسخ احدهم ما ترجمه الآخر ووضع له عنوانا آخر وغلافا جديدا وأعاد توزيع الكلمات والصفحات .

الغريب ان المحاضرتين انتهتا بهذا السؤال « كيف تنسى أمة لها هذا المنهج والنهج شروطها الاساسية ؟ » .

م. ص.

مطالعات

وجهات نظر

تاليف : محمد مزالي

عرض : محمد الهادى العامرى

وجهات نظر عنوان كتاب قيم اصدرته أخيرا الشركة التونسية للتوزيع حبرته براعة الاستاذ الضليع العامل المخلص محمد مزالى الذى أعاد الى الاذهان ما كان عليه السلف الصالح من جدية واخلاص فى نشر المعرفة سلف كرس اعضاؤه الصالحون وعلماؤه المكدون حياتهم للتحبير والتفكير والانتاج فتركوا وراءهم ألوف المجلدات ومالا يحصى ولا يعد من الرسائل والبحوث فى كل ميدان وفن وشاركت المرأة بالتدريس والتأليف وخدم الجنسان العلم اعظم خدمة ولم يتركوا فرصة من اوقاتهم الثمينة واعمارهم العامرة الا اغتنموها وعمروها بما يوسع نطاق المعرفة فكانوا فى قرون الازدهار الاسوة والقدرة الى ان تناسى الخلف ما قام به السلف فكان التخلف وكانت الطامة الكبرى التى كادت تقضى القضاء المبرم على أمتنا وغيرها • وانا لنهتف من أعماق أنفسنا اليوم لكل من نسج على منوال العاملين واحيا سنتهم وبعث حرصهم على النفع العام • وفى الطليعة الاستاذ مزالى الذى أمد المكتبة العربية بكل نفيس من التآليف والبحوث وناهيك بالفكر الذى أنا ربه الاجواء الباهتة وأحيا به الآمال الطامسة •

تناول المؤلف مزالى فى كتابه وجهات نظر بالتحليل العلمى مشاكلنا فى العصر الحديث باعثا للتاريخ داعيا الى بناء مستقبل زاهر فى بحث عميق عن اسباب التخلف مشيرا بالعلاج الناجع مهيبا بالشعوب المتخلفة المكافحة اليوم فى سبيل التقدم ان تلتهم ثورتها ما خلفته العهود البائدة من جروح وعقد وان تتعلم كيف تستقل ثقافيا وكيف تعتمد على النفس وتثق بالقدرة الذاتية وهى اثمن نصيحة واحكم

توجيه لتدارك الاغلاط الفادحة والاستفادة من الاحداث الفاجعة التى كادت تستأصل الامم المغلوبة على أمرها لولا ان قيض الله لها من قادها الى التحرر والتخلص حاثـا على حفظ الذاتية والكيـان ملحـا على بث بذور التـربية الدينية والوطنية فى نفوس الشباب لتجعل منهم الحماة للاوطـان المخلصين لها فى غير تعصب ولا انكماش ولم يقف عند هذا الحد بل دافـع عن حـرية الاديب ورد غارة المتعصبين على أدبنـا وأدبائنـا وحض على بث روح الثقـة بالنفوس وهى العلاج الناجع فان شعورنا بالنقص هو الذى جعلنا فى المؤخرة نؤثر التقليد على الابتكار والذوبان فى الغيـر على الاستقـلال حتى فى عهـد الاستقلال ، مذكرا باننا أمة لها حضارتها ومقوماتها فلا ينبغى لها اذا قدرت مسؤوليتها ان تعتمد على غيرها وان تنبذ لغتها وتتنكر للتعـريب الذى نقـل بواسطته الى العربية كل فن وكل علم مع الاتصال بما جد ويجد فى العـالم من الابتكار والتجديد مشهرا بالمتعصبين الذين يحاولون فى غير خجـل أن يشككونا فى مقدرتنا وفى كفاءتنا الى غير ذلك من البحوث المفيدة التى ينتفع بها كل محب لبـلاده وقد جناها الاستاذ المؤلف من ثمرات الفكر اليانعة التى حررتها يراعة مخلصة وروح كريمة لصاحبها آلى على نفسه ان يكافح طيلة حياته للوصول بنا الى مستقبل ثقافى افضل وحياة ارقى وحضارة اسمى فالى ذلك الرجل العظيم مزالى والى ذلك القلم الفياض والفكر المتدفق تحياتنا واكبارنا راجين منه ان يوالى البحوث وان يجاهد فى سبيل المعرفة الى آخر نفس فى حياته ليوجه شباب هذه الامة الى ماضى العزة والكرامة والاستقـلال الـذاتى والشمم .

والله يتولى جزاءه على ما بذل ويبذل انه لا يضيع سبحانه اجر من احسن عملا والسلام .

م. ع.

في الدراسات التاريخية : ـ السيد البشير بن سلامة عن كتابة « الشخصية التونسية » 400 د.ت

ـ السيد البشير التليلي عن كتابة « التاريخ الاجتماعي لتونس في القرن 19 » 300 د.ت

ـ السيد محمود بو علي عن كتابه « الجندي التونسي » 300 د.ت

في الدراسات الأدبية : ـ السيد محمد صالح الجابري عن كتابه « الشعر التونسي المعاصر » 500 د.ت

ـ السيد أبو زيان السعدي عن كتابه « في الادب التونسي المعاصر » 300 د.ت

تحيق التراث : ـ السيد محمد المرزوقي عن كتابه « ديوان الحكيم » 200 د.ت

ـ السيدان عمر بن سالم والهادي المطوي عن كتابهما « ديوان الغراب » 400 د.ت

القصة والمسرح : ـ السيد أحمد ممو عن كتابه « لعبة مكعبات الزجاج » 400 د.ت

ـ السيد الميداني بن صالح عن كتابه « زلزال في تل بيب » 300 د.ت

الشعر : ـ السيد جعفر ماجد عن كتابه « غدا تطلع الشمس » 300 د.ت

ـ السيد عبد المجيد الشرفي عن كتابه Delires 200 د.ت

أحسن كتاب في الاخراج : ـ الدار التونسية للنشر عن كتاب « درغوث رايس » 500 د.ت

• الملتقى الرابع لابن منظور :

انعقد في أواخر الشهر الماضي بمدينة قفصة الملتقى الرابع لابن منظور الذي نظمته وزارة الشؤون الثقافية تحت عنوان : « تنمية اللغة العربية في

العصر الحاضر ، وقد تناول بالدرس أهم القضايا التى تجابهها بلادنا فى المرحلة الحاضرة ، وتعانى منها كذلك البلاد العربية ، ألا وهى قضية مسايرة اللغة للتطور الحضارى ، ودعم المؤسسات العلمية والتربوية ، وجعل العربية أداة فعالة فى التعبير عن مختلف مشاكل العصر وضروب النشاطات العلمية، إذ لم تعد اللغة مجرد مدلول عن المعانى بقدر ما هى مباشرة لاساليب الحياة والعيش . وقد أجاب الدعوة لحضور هذا الملتقى ما يقارب العشرين باحثا من تونس ومن البلاد العربية .

• **اتفاقية تعاون بين الكتاب اليمنيين والتونسيين :**

حل بتونس خلال الشهر الماضى وفد من اتحاد الكتاب والادباء اليمنيين يضم الاخوين عمر الجاوى وسالم باجميل ، وقد أجريا أثناء إقامتهما عددا من الاتصالات ، كما اقتبلهما السيد رئيس الجمهورية . وقبل عودتهما أمضيا مع اتحاد الكتاب التونسيين اتفاقية ثقافية وبرنامج عمل لتبادل المخطوطات والخبرات والتزاور بين أعضاء الاتحادين فى تونس واليمن .

• **الاستاذ م. ص. الجابرى فى وزارة الثقافة :**

ألحق الاستاذ محمد الصالح الجابرى خلال الشهر الماضى بوزارة الشؤون الثقافية لتسيير مصلحة الكتاب العربى التابعة لدائرة الآداب بوزارة الثقافة ، ونحن إذ نهنئه بالثقة التى وضعتها فيه الوزارة ، نتمنى له التوفيق والنجاح فى مهمته .

• **مجلة « قصص » تعود الى الصدور :**

صدر العدد الاول من سلسلة جديدة لمجلة « **قصص** » التى يشرف عليها « نادى القصة » ، وهذا بعد أن استعاد النادى ادارتها من الدار التونسية للنشر ، وبعد أن تعثرت خطاها وتوقفت ردحا من الزمن . نتمنى لرصيفتنا الرواج والمثابرة فى مسيرتها الجديدة .

كتب وردت على المجلة

★ **كتب مهداة من أصحابها تقبلناها بالشكر والامتنان مع رجاء أن نراهم مواصلين للانتاج والعطاء :**

◆ الاستاذ **إبراهيم العريض** أهدانا عند زيارته الاخيرة الى نوتس جزءا من مؤلفاته ، ثم ها هو بعد عودته الى البحرين يرسل إلينا دفعة أخرى تشتمل على :

- كتاب فى 300 صفحة عن « فن المتنبى بعد ألف عام » كان قد نشره بالكويت .
- ترجمة شعرية لرباعيات عمر الخيام .
- أربع مجموعات شعرية تحمل عناوين : شموع / قبلتان / العرائس / أرض الشهداء .

◆ الكاتب المغربى **عبد الكريم غلاب** أرسل إلينا مشكورا كتابه الجديد « **الثقافة والفكر فى مواجهة التحدى** » وهو منشور بالمغرب فى 231 صفحة .

◆ من الاستاذ **محيى الدين عزوز** متفقد الفلسفة بالمعاهد الثانوية وصلنا كتاب أصدرته له مؤخرا الشركة التونسية للتوزيع فى حوالى 130 صفحة بعنوان « التطور المذهبى بالمغرب ، ودراسة قصة حى بن يقظان » .

◆ « **يا ليل الصب ومعارضاتها** » جمع وتحقيق محمد المرزوقى والجيلانى بن الحاج يحيى نشر الدار العربية للكتاب 194 صفحة بالالوان وبغلاف ملون بهيج المنظر ، ونحن نشكر الاستاذ المرزوقى على إهدائه اللطيف .

◆ « **الجندى التونسى ، ثلاثة آلاف سنة من الانتصار** » تأليف محمود بو علي — نشر وزارة الدفاع الوطنى 196 صفحة محلى بالصور ، وصلنا مع إهداء رقيق من مؤلفه ، فشكرا .

◆ « **هل تتكلم لغة فلسطين** » شعر : محمد على الرباوى ، قصيدة فى 12 صفحة نشرت مستقلة فى كتيب صغير مع إهداء من الشاعر .

الفهـرست

العـدد 8 ـ مـاى 1976 ـ السنـة الواحدة والعشرون

الفكر
مجلة ثقافية

تصدر بتونس شهريا
مؤسسها ومديرها المسؤول
محمد مزالى

رئيس التحرير : **البشير بن سلامة**
سكرتير التحرير: **عبدالواحد براهم**
الادارة : 13 نهج دار الجلد ـ تونس
تليفون : 260.237
الحساب الجارى : 33769 ـ تونس
العنوان : صندوق البريد 556 ـ تونس

- تصدر مجلة الفكر عشر مرات فى السنة وتحتجب فى شهرى أوت وسبتمبر
- قيمة الاشتراك السنوى :

اشتراك عـادى بتونس والبلاد العربية 3 دنانيـر .
اشتراكات بالخارج 3،500 ثلاثة دنانير ونصف
اشتراك الانتصـــار د 5 دنانير

- الاشتراكات يرسل معلومها فى حوالة بريدية باسم المجلة او يصب فى حسابها الجارى : 337.69 ـ تونس
- الرسائل لا ترد نشرت أم لم تنشر
- المراسلات تكون جميعا باسم

مدير مجلة « الفكر »
صندوق البريد عدد 556 ـ تونس

EL-FIKR - Revue mensuelle culturelle 21• Année N• 8 Mai 1976

طبع وحفر الشركة التونسية لفنون الرسم 20 نهج المنجى سليم ـ تونس